

وتسعين، وقيل إن أبا السرايا مطله هرثمة بأرزاق أصحابه، فغضب ومضى إلى الكوفة فبايع ابن طباطبا. ولما ملك الكوفة هرع إليه الناس والأعراب من النواحي فبايعوه، وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن بن سهل، فبعث إليه زهير بن المسيب الضبي في عشرة آلاف، وخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتاً، فنصب أبو السرايا مكانه غلاماً من العلوية، وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه. ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن خالد المروزي في أربعة آلاف، فلقه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشاً إلى البصرة وواسط، وولى على البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري، وعلى مكة الحسين الأفطس بن الحسين بن علي زين العابدين وجعل إليه الموسم. وعلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى فارس إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى الأهواز زيد بن موسى الصادق، فسار إلى البصرة وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن المثنى إلى المدائن، وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي ففعل.

وكان بواسط عَبدُ الله بن سعد الخرخشي من قبل الحسن بن سهل، ففرّ أمامهم وبعث الحسن بن سهل إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً له، فرجع بعد امتناع، وسار إلى الكوفة في شعبان. وبعث الحسن إلى المدائن وواسط علي بن أبي سعيد، وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه جيشاً إلى المدائن فملكوها في رمضان. وتقدم فنزل نهر صرصر،

وعسكر هرثمة بإزائه غدوة. وسار عليّ بن أبي سعيد في سؤال المدائن فحاصر بها أصحاب أبي السرايا ورجع هو من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة وهرثمة وأتباعه، ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز إلى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بني العبّاس وشيعتهم فنهبوا وخربوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس، وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، فلما بلغه قدوم حسين الأفطس جمع شيعة بني العبّاس. وكان مسرور الكبير قد حج في مائة فارس فتعبئ للحرب ودعا داود إلى حربهم فقال لا أستحل ذلك في الحرم وخرج إلى العراق وتبعه مسرور. وكان حسين الأفطس بسرف يخاف دخول مكة فبلغه

الخبر أن مكة قد خلت من بني العباس، فدخل في عشرة أنفس وطاق وسعى ووقف بعرفة ليلاً وأتم الحج. وأقام هرثمة بنواحي الكوفة يحاصرها، واستدعى منصور بن المهدي وكاتب رؤساء الكوفة، وسار علي بن سعيد من المدائن إلى واسط فملكها ثم توجه إلى البصرة واشتد الحصار على أبي السرايا بالكوفة، فهرب عنها في ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد بن جعفر بن محمد. ودخلها هرثمة منتصف محرم فأقام بها يوماً وولّى عليها غسان صاحب الحرس بخراسان، وعاد وقصد أبو السرايا القادسية وسار منها إلى السوس، ولقي بخراسان مالاً حمل من الأهواز فقسّمه في أصحابه. وكان على الأهواز الحسن بن علي المأموني، فخرج إليه لقاتله فهزمه، واقترب أصحابه وجاء إلى منزلة برأس عين من جلواء ومعه صاحبه محمد وغلّامه أبو الشوك، فظفر بهم حمّاد الكند غوش وجاء بهم إلى الحسن بن سهل في النهروان، فقتل أبا السرايا وبعث برأسه إلى المأمون وبصاحبه محمد معه، ونصب شلوه على جسر بغداد. وسار عليّ بن أبي سعيد إلى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يسمّى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم، فاستأمن إليه زيد فأمنه وأخذه، وبعث الجيوش إلى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين، وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر بمكة، فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله ولّى وسار إلى اليمن وبها إسحاق بن موسى بن عيسى فهرب إلى مكة، واستولى إبراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة قتله وفتكه. ثم بعث رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة ليحجّ بالناس، وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القوادر فيهم حدوية بن علي بن عيسى بن ماهان، والياً على اليمن من قبل الحسن بن سهل فخام العقيلي عن لقاءهم، واعترض قافلة الكسوة فأخذها، ونهب أموال التجّار ودخل الحجّاج إلى مكة عراة، فبعث

الخلودي من القوَّاد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم، وتفقد أموال التجَّار وكسوة الكعبة وطبيها، وضرب الأسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم، وحجَّ المعتصم بالناس.

بيعه محمد بن جعفر بمكة:

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين ويلقب الديباجة، وكان عالماً زاهداً ويروي عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه. ولما ملك الحسين الأفطس

مكة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة، وتتبع ودائع بني العباس وجعلها ذريعة لأخذ أموال الناس فخرجوا من مكة. وقلع أصحابه شبابيك الحرم وقلع ما على الأساطين من الذهب، واستخرج ما كان في الكعبة من المال فقسمه في أصحابه، وساء أثره في الناس. فلما قتل أبو السرايا تنكروا له فخشي على نفسه، ف جاء إلى محمد بن جعفر ليبيع له بالخلافة، فلم يزل به هو وابنه حسن واستعانا عليه بابنه علي حتى بايعوه، ودعوه بأمير المؤمنين. واستبدَّ عليه ابنه علي وابن الأفطس بأسوأ مما كان قبل، وأفحشوا في الزنا واللواط واغتصاب النساء والصبيان، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرّد إليهم ابن القاضي كان مغتصبا ببيت ابنه علي، فاستأمنهم حتى ركب إلى بيت ابنه وسلّم إليهم الغلام. وجاء إسحق بن موسى بن عيسى من اليمن، فاجتمع الناس وخذقوا مكة، وقاتلهم إسحق وامتنعوا عليه، فسار نحو العراق ولقي الجند الذين بعثهم هرثمة إلى مكة مع الجلودي ورجاء بن جميل، وهو ابن عم الحسين بن سهل. فرجع بهم وقاتل الطالبين فهزمهم وافترقوا، واستأمن إليه محمد بن جعفر فأمنه وملك مكة، وسار محمد بن جعفر إلى الجحفة ثم إلى بلاد جهينة فجمع وقاتل هارون بن المسيب والي المدينة، فانهزم محمد وفقت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع إلى موضعه. ولما انقضى الموسم استأمن الجلودي ورجاء بن جميل فأمناه ودخل مكة، وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح أنه حي، وخلع نفسه وسار إلى الحسن والي المأمون بمرو، فلم يزل عنده إلى أن سار المأمون إلى العراق فمات بجران في طريقه.

مقتل هرثمة:

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع، وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يعرج عليه، وسار إلى عقرقوبا إلى النهروان قاصداً

خراسان، ولقيته كتب المأمون متلاحقة أن يرجع إلى الشام والحجاز، فأبى إلا لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه. وكان قصد أن يطلع المأمون على حال الفضل بن سهل في طيه الأخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك، وباستبداده عليه ومقامه بخراسان، وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون، وألقى إليه أنه سلط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معانداً سيء القالة، وإن سومح في ذلك اجتراً غيره فسخطه المأمون وبقي في

انتظاره، ولما بلغ مرو قرع طبوله يسمعها لئلا يطوى خبره عن المأمون، وسأل المأمون عنها فقيل هرثمة أقبل يردد ويرق، فاستدعاه وقال هرثمة: مالت العلويين وأبا السرايا ولو شئت إهلاكهم جميعاً لفعلت، فذهب يعتذر فلم يمهله، وأمر فريس بطنه وشُدخ أنفه، وسحب إلى السجن، ثم دسّ إليه من قتله.

انتقاض بغداد علي الحسن بن سهل:

ولما بلغ خبر هرثمة إلى العراق كتب الحسن بن سهل إلى علي بن هشام والي بغداد من قبله أن يتعلل على الجند الحربية والبغداديين في أرزاقهم، لأنه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة أنهم عازمون على خلعه وطرد عماله، وولوا عليهم إسحق بن الهادي خليفة المأمون. فلم يزل الحسين يتلطف إليهم ويكاتبهم حتى اختلفوا فأنزل علي بن هشام ومحمد بن أبي خالد في أحد جانبيها، وزهير بن المسيب في الجانب الآخر وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه. وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذه علي بن أبي سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل، فهرب من محبسه وخرج بناحية الأنبار ومعه أخ لأبي السرايا. ثم تلاشى أمره، وأخذوا [*] إلى علي بن هشام. ثم جاء خبر هرثمة وقد انتقض محمد بن أبي خالد على علي بن هشام بما كان يستحق به، وغضب يوماً مع زهير بن المسيب فقنعه بالسوط، فسار إلى الحربية ونصب لهم الحرب، وانهزم علي بن هشام إلى صرصر. وقيل إن ابن هشام أقام الحد على عبد الله بن علي بن عيسى، فغضب الحربية وأخرجوه. واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه، فانهزم إلى واسط أول سنة إحدى ومائتين، والفضل بن الربيع وقد ظهر من اختفائه من لدن الأمين. وجاء عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرض

للقائهم من أصحابه. وكان زهير بن المسيب عاملاً للحسن على جوشي
من السواد وكان يكاتب بغداد، فركب إليه محمد بن أبي خالد

وأخذه أسيراً وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر. ثم تقدم إلى واسط وبعثه ابنه هرون إلى النيل، فهزم نائب الحسن بها إلى الكوفة فلحق بواسط، ورجع هرون إلى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها. وأقام الفضل بن الربيع مختفياً بها واستأمن لمحمد وبعثه إلى بغداد. وسار إلى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده، وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن إلى تمام الصلح، ثم لحقوا بجرجايا. ووجه محمد ابن ابنه هرون إلى [*] فأقام بها. وسار محمد ابن ابنه أبو رتيل وهو جريح إلى بغداد فمات بها ودفن في داره سرّاً ومحمد أبو رتيل إلى زهير بن المسيب فقتله من ليلته. وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد وبعث إلى عيسى بن محمد بأن يتولى حرب الحسن مكان أبيه، وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره إلى هرون بالنيل فغلبوا وانتهبوها، ولحق هرون بالمدائن. ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى، فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافاً عن الحسن بن سهل. وقيل: إن الحسن لما ساعد أهل بغداد عيسى بن محمد بن أبي خالد على حربه خام عنه فلاطفه ووعدته بالمصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية النواحي، فقبل وطلب خط المأمون بذلك، وكتب إلى أهل بغداد: إني شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلاً من بني هاشم، فولوا المنصور بن المهدي: وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا، مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً. وبعث منصور غسان بن الفرّج إلى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسي من قواد الحسن بن سهل، وأخذ أسيراً ونزل النيل، فبعث منصور بن محمد يقطين في العساكر إلى حميد، فلقاه حميد بكونى فهزمه وقتل من أصحابه، ونهب ما حول كوثى ورجع إلى النيل وأقام ابن يقطين بصرصر.

أمر المطوعة:

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدت أيدي الدعاوي بأذية الناس في أموالهم وأفشى المناكير فيهم وتعذر ذلك، فخرجوا إلى القرى فانتهبوها. واستعدى الناس أهل الأمر فلم يغدوا عليهم، فتمشى الصلحاء من عمل ريط وكل بينهم، ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة إلى خيارهم، فاعتزموا على مدافعتهم واشتد خالد المدريوش من أهل بغداد، فدعا جيرانه وأهل محله إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن يغيروا على السلطان. فشد على من كان عندهم من الدّعار وحبسهم ورفعهم إلى السلطان وتعدى ذلك إلى غير محله. ثم قام بعده سهل بن سلامة الأنصاري من الحريشية من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم فدعا إلى مثل ذلك، وإلى العمل بالكتاب والسنة، وعلق في عنقه مصحفاً وعبر على العامة وعلى أهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف. وبلغ خبرهما إلى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد فنكروا ذلك، لأن أكثر الدعار كانوا يشايعونهم على أمرهم، فدخلوا بغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الأمان له ولأهل بغداد، وانتظروا كتاب المأمون ورضي أهل البلد بذلك، فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل.

العهد لعلي الرضا والبيعة لإبراهيم بن المهدي:

ولما بلغ أهل بغداد أن المأمون قد بايع العهد لعلي بن موسى الكاظم، ولقبه الرضا من آل محمد، وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمه بذلك في رمضان من سنة إحدى ومائتين، وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبني هاشم بذلك، فأجاب بعض وامتنع بعض، وكبر عليهم إخراج الخلافة من بني العباس. وتولى كبر ذلك منصور وإبراهيم ابنا المهدي، وشايعهم عليه المطلب بن عَبد الله بن مالك والسدي ونصر الوصيف وصالح صاحب المصلّى ومنعوا يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع المأمون والبيعة لإبراهيم بن المهدي ومن بعده لإسحق بن الهادي. ثم بايعوه في المحرم سنة إثنين ومائتين ولقبوه المبارك ووعد الجند بأرزاق ستة أشهر، واستولى على الكوفة والسواد، وخرج فعسكر بالمدائن، ووَلَّى بها على الجانب الغربي العباس بن الهادي، وعلى الجانب الشرقي إسحق بن الهادي. وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عَبد الحميد عاملاً للحسن بن سهل، ومعه القواد سعيد بن الساحور وأبو البط وغسان بن الفرج ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب، كانوا منحرفين عن حميد، فدخلوا إبراهيم بن الهادي في أن يهلكوه في قصر ابن هبيرة وشعر بذلك الحسن بن سهل، فاستقدم حميداً وخلا لهم الجو منه، فبعث إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هبيرة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجواريه. ثم عاد إلى الكوفة فاستعمل عليها العباس بن موسى الكاظم وأمره أن يدعو لأخيه فامتنع غلاة الشيعة من إجابته وقالوا لا حاجة إلينا بذكر المأمون وقعدوا عنه. وبعث إبراهيم بن المهدي من القواد سعيداً وأبا البط لقتاله، فسرح إليهم

العباس بن عمه وهو علي بن محمد الديباجة فانهزم، ونزل سعيد وأبو البط الحيرة، ثم تقدموا لقتال أهل الكوفة، وقاتلهم شيعة بني العباس ومواليهم. ثم سألوا الأمان للعباس وخرجوا من داره. ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى، وبلغ الخبر إلى سعيد بالحيرة بأن العباس قد نقض ورجع عن الأمان، فركب وجاء إلى

الكوفة وقتل من ظفر به، ولقيه أهله فاعتذروا إليه بأن هذا فعل الغوغاء، وأن العباس باق على عهده. ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالأمان، وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، ثم عزلوه وولوا مكانه غسان بن الفرج فقتل أخا السرايا. ثم عزله وولوا الهول ابن أخي سعيد القائد، وقدم حميد بن عبّد الحميد لحربهم بالكوفة، فهرب الهول وبعث إبراهيم بن المهدي بن عيسى بن محمد بن أبي خالد لحصار الحسن بواسطة على طريق النيل. وكان الحسن متحصناً بالمدينة، فسرح أصحابه لقتالهم فانهزموا وغنم عسكرهم، ورجع عيسى إلى بغداد فقاتل سهل بن سلامة المطوع حتى غلبه على منزله، فاختفى في كمار النظار، وأخذه بعد ليال وأتوا به إسحق فقال: كل ما كنت أدعو إليه باطل. فقالوا: أخرج فأعلم الناس بذلك! فخرج وقال: قد كنت أدعوكم إلى الكتاب والسنة ولم أزل على ذلك، فضربوه وقيدوه وبعثوا به إلى إبراهيم المهدي فضربه وحبسه، وظهر أنه قتل في محبسه خفية لسنة من قيامه. ثم أطلقه فاختفى إلى أن انقرض أمر إبراهيم. وزحف حميد بن عبّد الحميد سنة ثلاث ومائتين إلى قتال إبراهيم بن المهدي وأصحابه، وكان عيسى بن محمد بن أبي خالد هو المتولي لقتالهم بأمر إبراهيم، فدخلهم في الغدر بإبراهيم، وصار يتعلل عليه في المدافعة عنه، ونمي ذلك إلى إبراهيم بن هرون أخي عيسى فتكر له، ونادى عيسى في الناس بمسالمة حميد، فاستدعاه إبراهيم وعاتبه بذلك فأنكر واعتذر، فأمر به فضرب، وحبس عدة من قوّاده وأفلت العباس خليفته، فمشى بعض الناس إلى بعض ووافقوا العباس على خلع إبراهيم وطرّدوا عامله من الجسر والكرخ. وثار الرعاع والغوغاء. وكتب العباس إلى حميد يستقدمه ليسلم إليه بغداد ونزل صرصر، وخرج إليه العباس والقواد وتواعدوا لخلع إبراهيم على أن يدفع لهم العطاء، وبلغ الخبر إلى إبراهيم فأخرج عيسى وأخوته، وسأله قتال حميد فامتنع. ودخل حميد فصلّى الجمعة

وخطب للمأمون وشرع في العطاء ثم قطعه عنهم، فغضب الجند. وعاود إبراهيم سؤال عيسى في قتال حميد ومدافعته، فقاتل قليلاً ثم استأ سر لهم، وانفض العسكر راجعين إلى إبراهيم. وارتحل حميد فنزل في وسط المدينة وتسلسل أصحاب إبراهيم إلى المدائن فملكوها، وقاتل بقيتهم حميد، وكان الفضل بن الربيع مع إبراهيم فتحول إلى حميد وكاتب المطلب بن عَبد الله بن مالك بأن يسلموه إليه. وكان سعيد بن الساحور والبط وغيرهم من القواد يكاتبون علي بن هشام بمثل ذلك. ولما علم إبراهيم بما اجتمعوا

عليه أقبل على مداراتهم إلى أن جُنَّ الليل. ثم تسرب في البلد واختفى منتصف ذي الحجة من سنة ثلاث، وبلغ الخبر إلى حميد وعلي بن هشام، فأقبلوا إلى دار إبراهيم فلم يجدوه، وذلك لسنتين من بيعته. وأقام علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد على غربها وأظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو إليه فقربه حميد ووصله.

قدوم المأمون إلى العراق

لَمَّا وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه على المأمون، ثم من العهد لعلي الرضا بن موسى الكاظم وإخراج الخلافة من بني العباس، وكان الفضل بن سهل يطوي ذلك عن المأمون ويبالغ في إخفائه حذراً من أن يتغير رأي المأمون فيه وفي أخيه. ولما جاء هرثمة للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك وأن المأمون يثق بقوله، أحكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله ولم يصغ إلى كلامه، فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن، وتحدث القواد في عسكر المأمون بذلك ولم يقدرُوا على إبلاغه، فجاءوا إلى علي الرضا وسألوه إنهاء ذلك إلى المأمون فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال، وأنهم بايعوا إبراهيم بن المهدي فقال المأمون: إنما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم! فقال ليس كذلك: وإن الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه، وإن الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكاني وعهدك لي. فقال له المأمون: ومن يعلم هذا غيرك؟ فقال: يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قوادك. فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا إليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا، وأن الناس بالعراق يتهمونه بالرفض لعهد علي الرضا، وأن طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع إلى الرقة وضعف أمره، والبلاد تفتقت من كل جانب،

وإن لم يتدارك الأمر ذهبت الخلافة منهم. فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل، وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع في عقاب أولئك القواد فلم يغنه. ولما نزل المأمون شرحبيل وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام وهربوا، وجعل المأمون جعلاً لمن جاء بهم، فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري. فلما حضروا عند المأمون قالوا له: أنت أمرتنا بقتله! وقيل بل اختلفوا في القول فقال بعضهم: أمرنا بقتله ابن أخيه، وقال آخرون بل عبْد العزيز بن عمران من القواد وعلي وموسى، وغيرهم وأنكر

آخرون. فأمر المأمون بقتلهم وقتل من أقرؤا عليه من القواد، وبعث إلى الحسن بن سهل وسار إلى العراق. وجاءه الخبر بأن الحسن بن سهل أصابته المايخوليا واختلط فبعث ديناراً مولاه ووكله بأمر العسكر، وكان إبراهيم بن المهدي وعيسى بالمدائن، وأبو البط وسعيد بالنيل والحرب متصلة بينهم. والمطلب بن عَبد الله بن مالك قد اعتل بالمدائن، فرجع إلى بغداد وجعل يدعو إلى المأمون سرّاً وإلى خلع إبراهيم، وأن يكون منصور بن المهدي خليفة المأمون، ودخله في ذلك خزيمة بن خازم وغيره من القواد. وكتب إلى علي بن هشام وحميد أن يتقدما فنزل حميد نهر صرصر وعلي النهروان، وعاد إبراهيم بن المهدي من المدائن إلى بغداد منتصف صفر، وقبض على منصور وخزيمة ومنع المطلب مواليه، فأمر إبراهيم بنهب داره ولم يظفر، ونزل حميد وعلي بن هشام المدائن وأقاما بها. وزوج المأمون في طريقه إبنته من علي الرضا، وبعث أخاه إبراهيم بن موسى الكاظم على الموسم، وولاه اليمن وكان به حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه. ولما نزل المأمون مدينة طوس مات علي الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب أكله، وبعث المأمون إلى الحسن بن سهل بذلك وإلى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده إليه وأنه قد مات ويدعوهم إلى الرجوع لطاعته. ثم سار إلى جرجان وأقام بها أشهراً وعقد على جرجان لرجاء بن أبي الضحاك قاعداً وراء النهر، ثم عزله سنة أربع وعقد لغسان بن عباد من قرابة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروبان ودهارير ثم عزله بطاهر كما نذكره. ثم سار إلى النهروان فلقية أهل بيته وشيعته والقواد ووجوه الناس، وكان قد كتب إلى طاهر أن يوافيه بها، فجاء من الرقة ولقيه هنالك. وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربعة فنزل الرصافة ثم

نزل قصره بشاطيء دجلة، وبقي القواد في العسكر وانقطعت الفتن
وبقي الشيعة يتكلمون في لبس الخضرة، وكان المأمون قد أمر طاهر
بن الحسين أن يسأل حوائجه، فأول شيء سأل لبس السواد فأجابه؟
وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود، واستقامت الأمور . كانت
الفتنة قد وقعت بالموصل بين بني شامة وبني ثعلبة، وكان علي بن
الحسن الهمداني متغلباً عليها في قومه، فاستجارت ثعلبه بأخيه
محمد فأمرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا، وتبعهم بنو شامة في ألف
رجل وحاصروهم بالقوجاء

ومعهم بنو ثعلب، وبعث علي ومحمد إليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بني شامة وأسروا منهم ومن بني ثعلب، فجاء أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبي إلى علي فوادعه وسكنت الفتنة. ثم إن علي بن الحسين سطا بمن كان في الموصل من الأزدي عسف في الحكم عليهم، وقال لهم يوماً الحقوا بعمان! فاجتمعت الأزدي إلى السيد بن أنس كبيرهم وقاتلوه. وكان في تلك النواحي مهدي بن علوان من الخوارج، فأدخله علي بن الحسين وبايعه وصفي بالناس، واشتدت الحرب. ثم كانت إصراراً على علي وأصحابه، وأخرجهم الأزدي عن البلد إلى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا علياً وأخاه أحمد في جماعة، ولجأ محمد إلى بغداد وملك السيد بن أنس والأزدي والموصل، وخطب للمأمون. ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيد بن أنس فشكاه محمد بن الحسين بن صالح واستعداه عليه بقتل أخويه وقومه، فقال نعم يا أمير المؤمنين ! ادخلوا الخارجي بلدك وأقاموا على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماءهم.

ولاية طاهر علي خراسان ووفاته:

كان المأمون بعد وصوله إلى العراق قد ولي طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانيي بغداد والسواد، ودخل عليه يوماً في خلوته فأذن له بالجلوس وبكى ففداه. فقال المأمون: أبكي لأمر ذكره ذل وستره حزن، ولن يخلو أحد من شجن وقضى طاهر حديثه وانصرف. وكان حسين الخادم حاضراً فدسّ إليه على يد كاتبه محمد بن هرون أن يسأل المأمون عن مكاتبتة على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب، وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له: إن الثناء مني ليس برخيص، والمعروف عندي ليس بضائع فعيبي عن غير المأمون. فأجابه وركب إلى المأمون وفاوضه في أمر خراسان، وأنها يخشى عليها من الترك وأن غسان بن عباد ليس بكفاء لها. فقال: لقد فكرت في ذلك فمن ترى يصلح لها؟ قال طاهر بن الحسين: قال هو خالع: قال أنا

ضامنه. فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق
من حلوان إلى خراسان، وعسكر من يومه خارج بغداد، وأقام شهراً
تحمل إليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان.
وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عَبْدُ الله، وكان

ينوب عن أبيه بالشرطة فحملها إلى ابن عمه إسحق بن إبراهيم بن مصعب، وخرج إلى عمله ونزل الرقة لقتال نصر بن شيث ثم سار طاهر إلى خراسان آخر ذي القعدة سنة خمس ومائتين. وقيل في سبب ولاية طاهر خراسان: إن عَبْد الرحمن المطوع جمع جموعاً كثيرة بنيسابور لقتال الحرورية ولم يستأذن غسان بن عَبْد وهو الوالي على خراسان، فخشى أن يكون ذلك من المأمون فاضطرب، وتعصب له الحسن بن سهل. وخشى المأمون على خراسان فولى طاهراً وسار إلى خراسان فأقام بها إلى سنة سبع، ثم اعتزم على الخلاف. وخطب يوماً فأمسك عن الدعاء للمأمون ودعا بصلاح الأمة، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون بخلعه، فدعا بأحمد بن أبي خالد فقال: أنت ضمنته فسر وأتني به. ثم جاء من الغد الخبر بموته، فقال المأمون للبريد ونعم الحمد لله الذي قدّمه وأخرنا. وولى طلحة من قبله، وبعث إليه المأمون أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره، فعبر أحمد إلى ما وراء النهر، وافتتح اشر وسنة، وأسر كاووس بن خالد أحمد وابنه الفضل وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألف ألف ولمكاتبته خمسمائة ألف درهم. ثم خالف الحسين بن الحسين بن مصعب بكرمان فسار إليه أحمد بن أبي خالد وأتى به إلى المأمون فعفا عنه.

ولاية عَبْد الله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربه نصر بن شيث:

وفي سنة ست ومائتين بلغ الخبر بوفاة يحيى بن معاذ عامل الجزيرة، وأنه استخلف ابنه أحمد، فولى المأمون عَبْد الله بن طاهر مكانه وجعل له ما بين الرقة ومصر، فأمره بحرب نصر بن شيث، وقيل ولاه سنة خمس، وقيل سنة سبع. واستخلف على الشرطة ببغداد إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه، وكتب إليه أبو طاهر كتاباً بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الأخلاق، وقد ذكرناه في مقدمة كتابنا، فسار عَبْد الله بن طاهر لذلك،

وبعث الجيوش لحصار نصر بن شيث بكيسوم في نواحي جانب، ثم سار إليه بنفسه سنة تسع ومائتين وأخذ بمخنقه. وبعث إليه المأمون محمد بن جعفر العامري يدعوه إلى الطاعة، فأجاب على شرط أن لا يحضر عنده. فتوقف المأمون وقال: ما باله ينفر مني فقال أبو جعفر لَمَّا

تقدم من ذنبه. فقال: فتراه أعظم ذنباً من الفضل بن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الأموال والسلاح وذهب مع القواد إلى أخي، وأسلمني وأفسد علي حتى كان ما كان، ومن عيسى ابن أبي خالد وقد خالف علي ببلدي وأخرب داري، وباع لإبراهيم دوني فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالة يبقون بها، ونصر ليست له في دولتكم سابقة، وإنما كان من جند بني أُمَيَّة، وأنا لا أجيب إلى هذا الشرط. ولح نصر في الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمنه عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر، وخرج إليه سنة عشرة وبعث به إلى المأمون، وأخرب حصن كيسوم لخمس سنين من حصاره. ورجع عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر إلى الرقة. ثم قدم بغداد سنة إحدى عشرة فتلقيه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس.

الظفر بابن عائشة وبإبراهيم بن المهدي:

كان إبراهيم بن محمد بن عَبْدُ الْوَهَّاب بن إبراهيم الإمام ويعرف بابن عائشة ممن تولى كبر البيعة لإبراهيم بن المهدي، ومعه إبراهيم بن الأغلب ومالك بن شاهين، وكانوا قد اختفوا. عند قدوم المأمون في نواحي بغداد. ولما وصل نصر بن شيث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج في ذلك اليوم، ثم غلبهم بعض الناس فأخذوا في صفر من سنة عشرة، ثم ضربوا حتى أقروا على من كان معهم في الأمر فلم يعرض لهم المأمون وحبسهم فضاقت عليهم المحبس وأرادوا أن ينقبوه، فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه. ثم أخذ في هذه السنة إبراهيم بن المهدي وهو متنقب في زي امرأة يمشي بين إمرأتين، واستراب به بعض العسس وقال: أين تردن في هذا الوقت؟ فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت في يده فازداد ريبة ورفعهن إلى صاحب المسلحة، وجاء بهن إلى صاحب الجسر فذهب به إلى المأمون، وأحضره والغل في عنقه والملحية على صدره ليراه بنو هاشم والناس. ثم حبسه عند أحمد بن أبي خالد، ثم أخرجه معه

عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصلح، فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران، وقيل: إن إبراهيم لمّا أخذ حُمل إلى دار المعتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وأنبه فيما كان منه. واعتذر بمنظوم من الكلام ومثبور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول في كتب التاريخ فلا نطيل بنقله.

انتفاض مصر والإسكندرية:

كان السري بن محمد بن الحكم والياً على مصر وتوفي سنة خمس ومائتين، وبقي ابنه عَبْدُ الله، فانتقض وخلع الطاعة وأنزل بالإسكندرية جالية من الأندلس أخرجهم الحكم بن هشام من ربضي قرطبة وغربهم إلى المشرق. ولما نزلوا بالإسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حفص عمر البلوطي. وفشل عَبْدُ الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شيث فلما فرغ منه ثار من الشام إليهم، وقدم قائداً من قواده، ولقيه ابن السري وقتله وأغدَّ ابن طاهر المسير فلحقهم وهم في القتال، وانهزم ابن السري إلى مصر وحاصره عَبْدُ الله بن طاهر حتى نزل على الأمان، وذلك سنة عشرة. ثم بعث إلى الجالية الذين ملكوا الإسكندرية بالحرب، فسألوا الأمان على أن يرتحلوا إلى بعض الجزائر في بحر الروم مما يلي الإسكندرية ففعل. ونزلوا جزيرة أقریطش واستوطنوها وأقامت في مملكة المسلمين من أعقابهم دهرًا إلى أن غلب عليها الإفرنجة.

العمال بالنواحي:

لَمَّا استقر المأمون ببغداد وسكن الهج وذلك سنة أربع، ولى على الكوفة أخاه أبا عيسى، وعلى البصرة أخاه صالحاً، وعلى الحرمين عَبْدُ الله بن الحسين بن عَبْدُ الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وعلى الموصل السيد بن أنس الأزدي، وولى على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة، وكان الحسن بن سهل ولاء عليها فقدم واستخلف إبنه عَبْدُ الله عليها. ثم ولاء المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها، واستقدم ابنه عَبْدُ الله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه. وولى يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على أرمينية وأذربيجان

ومحاربة بابك. ومات عامل مصر السري بن محمد بن الحكم فولى
ابنه عبيد الله مكانه.

ومات داود بن يزيد عامل السند فولى بشر بن داود مكانه على
أن يحمل ألف ألف درهم كل سنة، ثم مات يحيى بن معاذ سنة
ست واستخلف ابنه أحمد فعزله المأمون وولى مكانه عَبْدُ اللَّهِ بن
طاهر وأضاف إليه مصر، وسيره لمحاربة نصر بن شيث وولّى عيسى
بن يزيد الجلودي محاربة الزط سنة خمس، ثم عزله سنة ست وولّى
داود بن منحور مع أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وولّى

في سنة سبع محمد بن حفص على طبرستان والرويان ودنباوند. وفيها أوقع السيد بن أنس بجماعة من عرب بني شيان ووديعه بما فشا من إفسادهم في البلاد، فكبسهم بالدسكرة واستباحهم بالقتل والنهب.

وفي سنة تسع وُلّي صدقة بن علي و يعرف بزريق على أرمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك، وقام بأمره أحمد بن الجنيد الإسكافي فأسره بابك، فولى إبراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان. وكان على جبال طبرستان شهریار بن شروین، فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور، فقتله مازيار بن قارن في حرب أسره فيها، وملك جبال طبرستان. وفي سنة إحدى عشرة قتل زريق بن علي بن صدقة الأزدي السيد بن أنس صاحب الموصل، وقد كان زريق تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاه المأمون عليها، فجمع وفصد الموصل لحرب السيد فخرج إليه أربعة آلاف، فاشتد القتال بينهم وقتل السيد في المعركة فغضب المأمون لقتله، وولّى محمد بن حميد الطوسي على الموصل وأمره بحرب زريق وبابك الخرمي فسار إلى الموصل واستول عليها سنة إثنتي عشرة ومات موسى بن حفص عامل طبرستان فولى المأمون مكانه ابنه، وولّى حاجب بن صالح على الهند ف وقعت بينه وبين بشر بن داود صاحب السند حرب، وانهزم بشر إلى كرمان. ثم قتل محمد بن حميد الطوسي سنة أربع عشرة، قتله بابك الخرمي. وذلك أنه لما فرغ من أمر المتغلبين بالموصل سار إلى بابك في العساكر الكاملة الحشد، وتجاوز إليه المضائق ووكل بحفظها حتى انتهى إلى الجبل، فصعد وقد أكنم بابك الرجال في الشعراء.

فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكمائن، فانهزموا وثبت محمد بن حميد، حتى إذا لم يبق معه إلا رجل واحد فتسلل يطلب النجاة، فعثر في جماعة من الحربية يقاتلون طائفة من أصحابه

فقصده وقتلوه، وعظم ذلك على المأمون. واستعمل عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر على خراسان لأنه كان بلغه أن أخاه طلحة بن طاهر مات وقام علي أخوه مكانه خليفة لعبد الله، وعبد الله بالدينور يجهز العساكر إلى بابك، فولى على نيسابور محمد بن حميد، فكثرت عيث الخوارج بخراسان فأمره المأمون بالمسير إليها، فسار ونزل نيسابور، وسأل عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله لسكوتهم.

وفي سنة إثنى عشرة خلع أحمد بن محمد العُمري ، يعرف بالأحمر، العين باليمن، فولّى المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم، وأخاه أبا إسحق المعتصم على الشام ومصر، وسير عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر إلى خراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم، وبعث المعتصم أبا عميرة

الباذغيسي عاملاً على مصر فوثب به جماعة من القيسية واليمانية فقتلوه سنة أربع عشرة، فسار المعتصم إلى مصر فقاتلهم، وافتتح مصر ووَلَّى عليها واستقامت الأمور. وفي سنة ثلاث عشرة ولى المأمون غسان بن عبّاس على السند لمّا بلغه خلاف بشر بن داود. وفي سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دُلف وكان بالكرخ من نواحي همذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر، وقتل عيسى فعاد إلى همذان، وراسله طاهر يدعوه إلى البيعة فامتنع. وقال له ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ. فلما خرج المأمون إلى الري أرسل إليه يدعوه فسار نحوه وجلاً بعد أن أغرى عليه أصحابه الامتناع. وفي سنة أربع عشرة قتل باليمن، وفيها ولى المأمون عليّ بن هشام الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان، وخلع أهل قم وكانوا سألوا الخُطِيطَة من خراجهم وهو ألف ألف درهم، لأن المأمون لمّا جاء من العراق أقام بالري أياماً وخفف عنهم من الخراج، فطمع أهل قم في مثلها فأبى فامتنعوا من الأداء، فسرح إليهم علي بن هشام وعجيف بن عنبسة وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عمران وهدموا سورها وجبوها على سبعة آلاف ألف.

وفي سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفهري بمصر وقتل بعض عمال المعتصم، فسار المأمون إلى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله، وقدم من برقة وأقام بمصر. وفيها غضب المأمون على علي بن هشام ووجه عجيلاً وأحمد بن هشام لقبض أمواله وسلامه لمّا بلغه من تعسفه وظلمه، وأراد قتل عجيف واللاحق ببابك فلم يقدر، وظفر به عجيف وجاء به إلى المأمون فأمر بقتله، وطيف برأسه في الشام والعراق وخراسان ومصر ثم القي في البحر. وقدم غسان بن عبّاد من السند ومعه بشر بن داود متسأماً فولى على السند عمران بن موسى العكي وهرب جعفر بن داود القفي إلى قم فخلع، وكان

محبوساً بمصر منذ عزله المأمون عن قم، فهرب الآن وخلع فغلبه عليّ بن عيسى القمي وبعث به إلى المأمون فقتل.

الصوائف:

وفي سنة مائتين قتل الروم ملكهم إليون لسبع سنين ونصف من ملكه، وأعادوا ميخايل بن جرجس المخلوع، وبقي عليهم تسع سنين. ثم مات سنة خمس عشرة، وملك ابنه نوفل. وفتح عبّد الله بن حرداوية، والي طبرستان البلاد والسيرن من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان، وأنزل شهریار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون، وأسر أبا لیل ملك الديلم، وذلك سنة إحدى ومائتين. وفيها ظهر بابك الخرمي في

الجاوندانية أصحاب جاوندان سهل، وتفسيره الدائم الباقي. وتفسير خرم فرح، وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس. وفي سنة أربع عشرة خرج أبو بلال الصابي الشاري، فسرّح إليه المأمون ابنه العباس في جماعة من القواد وقتلوه.

وفي سنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصائفة، وسار عن بغداد في المحرم واستخلف عليها إسحق بن إبراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر، وولاه السواد

وحلوان وكور دجلة، ولما وصل تكريت لقيه محمد بن علي الرضا فأجازه وزف إليه ابنته أم الفضل، وسار إلى المدينة فأقام بها وسار المأمون على الموصل إلى منبج ثم دابق ثم أنطاكية ثم المصيصة وطرطوس. ودخل من هنالك فافتتح حصن قرّة عنوةً وهدمه. وقيل بل فتحه على الأمان، وفتح قبله حصن ماجد كذلك. وبعثه أشناس إلى حصن سدس، ودخل ابنه العباس ملطية، ووجه المأمون عجيلاً وجعفر الخياط إلى حصن سنان فأطاع. وعاد المعتصم من مصر فلقي المأمون قبل الموصل، ولقيه العباس ابنه برأس عين. وجاء المأمون منصرفه من العراق إلى دمشق، ثم بلغه أن الروم أغاروا على طرسوس والمصيصة وأثخنوا فيهم بالقتل.

وكتب إليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع إليهم وافتتح كثيراً من معاقلهم وأناخ على هرقله حتى استأمنوا وصالحوه، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً منها مطمورة، وبعث يحيى بن أكثم فأثخن في البلاد، وقتل وحرّق وسبى. ثم رجع المأمون إلى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل إلى دمشق.

وفي سنة سبع عشرة رجع المأمون إلى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلف عجيلاً على حصارها. وجاء نوفل ملك الروم فأحاط به فبعث إليه المأمون بالمدد، فارتحل نوفل واستأمن من أهل لؤلؤة إلى عجيف، وبعث نوفل في المهادنة

والمأمون على سلوين فلم يجبه. ثم رجع المأمون سنة ثمان عشرة وبعث ابنه العبّاس إلى بناء طوانة فبنى بها ميلاً في ميل ودورها أربعة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب ونقل إليها الناس من البلدان.

وفاة المأمون وبيعة المعتصم:

ثم مرض المأمون على نهر البربرون واشتد مرضه، ودخل العراق وهو مريض فمات بطرسوس، وصلى عليه المعتصم وذلك لعشرين سنة من خلافته، وعهد لابنه المعتصم وهو أبو إسحاق محمد فبوع له بعد موته، وذلك منتصف رجب من سنة ثمان عشرة

ومائتين. وشغب الجند وهتفوا باسم العباس بن المأمون فأحضره وبيع، فسكتوا وخرب لوقته ما كان بناه من مدينة طوانة وأعاد الناس إلى بلادهم وحمل ما أطاق حمله من الآلة وأحرق الباقي.

ظهور صاحب الطالقان:

وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين، كان ملازماً للمسجد بالمدينة، فلزمه شيطان من أهل خراسان وزين له أنه أحق بالإمامة، وصار يأتيه بحجّاج خراسان يبايعونه. ثم خرج به إلى الجوزجان وأخفاه وأقبل علي الدعاء له، ثم حمله على إظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة في هذا الإبهام كما قدمناه. وواقعه قواد عبّد الله بن طاهر بخراسان المرة بعد المرة فهزموه وأصحابه، وأخرج ناجياً بنفسه وممر بنسا، فوشى به إلى العامل فقبض عليه وبعثه إلى عبّد الله بن طاهر، فبعثه إلى المعتصم منتصف ربيع أول سنة تسع عشرة فحبسه عند الخادم مسرور الكبير، ووكّل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خير.

حرب الرّط:

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد، وولّوا عليهم رجلاً منهم اسمه محمد بن عثمان، وقام بأمره آخر منهم اسمه سماق. وبعث المعتصم لحربهم في هذه السنة عجيف بن عنيسة في جمادى الآخرة فسار إلى واسط وحاربهم، فقتل منهم في معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة، ثم قتلهم وبعث برؤوسهم إلى باب المعتصم وأقام قبالتهم سبعة أشهر. ثم استأمنوا إليه في ذي الحجة آخر السنة وجاؤا بأجمعهم في سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم إثنا عشر ألفاً، فعباهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد في عاشوراء سنة عشرين، وركب المعتصم إلى

الشماسة في سفينة حتى رآهم، ثم غربهم إلى عين زربة فأغارت
عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد.

بناء سامرا:

كان المعتصم قد اصطنع قوماً من أهل الحرف بمصر وسماهم
المطارية، وقوماً من

سمرقند وأش روسنة وفرغانة وسماهم الفرغانة وأكثر من صبيانهم، وكانوا يركضون الدواب في الطرق ويختلفون بها ركضاً فيصدمون النساء والصبيان فتتأذى العامة بهم، وربما انفرد بعضهم فقتلوه. وتأذى الناس من ذلك ونكروه، وربما أسمعوا النكير للمعتصم، فعمد إلى بناء القاطون، وكانت مدينة بناها الرشيد ولم يستتمها وخربت، فجدها المعتصم وبناها سنة عشرين وسماها سر من رأى فرخمها الناس سامرا وصارت داراً لملكهم من لدن المعتصم ومن بعده، واستحلف ببغداد حتى انتقل إليها ابنه الواثق.

نكبة الفضل بن مروان

كان للمعتصم في ولاية أخيه كاتب يعرف بيحيى الجرمقابي، واتصل به الفضل بن مروان، وهو من البردان، وكان حسن الخط. فلما هلك الجرمقابي استكتبه المعتصم وسار معه إلى الشام فأثرى. ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الأموال، ثم صار يرد أوامر المعتصم في العطايا ولا ينفذها، واختلفت فيه السعيات عند المعتصم ودسوا عليه عنده من ملاء مجلسه ومساخره من يعير المعتصم باستبداده عليه ورد أوامره، فحق له ذلك. ثم نكبة سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته، وجعل مكانه محمد بن عبّد الملك بن الزيات وغرب الفضل إلى بعض قرى الموصل. محاربة بابك الخرمي: قد تقدم لنا حديث بابك الخرمي وظهوره سنة إثنين ومائتين بدعوة جاوندان بن سهل، واتخذ مدينة البِدِّ لامتناعه وولّى المأمون حروبه، فهزم عساكره وقتل جماعة من قواده، وخرّب الحصون فيما بين أردبيل وزنجان، فلما ولي المعتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التي خربها وشحنها بالرجال والأقوات، وحفظ السابلة لجلب الميرة. وبينما هو في ذلك أغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحي فخرج في طلبهم واستنقذ ما أخذه، وقتل كثيراً وأسر أكثر، وبعث بالرؤوس والأسرى إلى المعتصم.

وكان ابن البغيث أيضاً في قلعة له حصينة من كور أذربيجان ملكها
من يد

ابن الرواد، وكان يصانع بابك ويضيف سراياه إذا مروا به. ومّر به في هذه الأيام قائده عصمة، وأضافه على العادة ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به إلى المعتصم، فسأله عن عورات بلاد بابك فدلّه عليها. ثم حبسه وعقد لقائه الأفشين حيدر بن كاوس على الجبال، ووجهه لحرب بابك، فسار إليها ونزل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أردبيل، وأنزل قواده في العساكر ما بينه وبين أردبيل يتلقون الميرة من أردبيل من واحد إلى الآخر حتى تصل عكسر الأفشين. وكان إذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن إحسان بابك إليه فيضاعفه ويطلقه. ثم إن المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الأفشين بالنفقات، وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه، وأخبر الأفشين بذلك بعض جواسيسهم فكتب إلى بغا أن يرتحل من حصن النهرقيلا، ثم يرجع إلى أردبيل ففعل ذلك. وجاءت الأخبار إلى بابك وركب الأفشين في يوم مواعده لبغا وأغذ المسير، وخرجت سرية بابك فلقيت قافلة النهر، ولم يصادفوا بغا فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال. ولقوا في طريقهم الهيثم من قواد الأفشين فهزموه وامتنع بحصنه، ونزل بابك عليه يحاصره وإذا بالأفشين قد وصل، فأوقع بهم، وقتل الكثير من جنده؟ ونجا بابك إلى موقان وأرسل إلى عسكره في البر فلحقت به، وخرج معهم من موقان إلى البدّ. ولما رجع الأفشين إلى عسكره استمر على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحي، ووجه صاحب مراغة إليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابك فأخذوها، ثم خلاص إليه بغا بما معه من المال ففرقه في العساكر، وأمر الأفشين قواده فتقدموا ليضيقوا الحصار على بابك في حصن البدّ، ونزل على ستة أميال منه. وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البدّ وقتلهم وقتلوا منهم جماعة، فتأخر إلى خندق محمد بن حميد من القواد، وبعث إلى الأفشين في المدد فبعث إليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خوس وصاحب شرطة الحسن بن

سهر، وأمره بمناجزتهم إلى الحرب في يوم عينه فركبوا في ذلك اليوم، وقصدوا البَدْ وأصابهم برد شديد ومطر. وقاتل الأفشين فغلب من بإزائه من أصحاب بابك واشتد عليهم المطر فنزلوا واتخذ بغا دليلاً أشرف به على جبل يطل منه على الأفشين، ونزل عليهم الثلج والضبَاب فنزلوا منازلهم. وعمد بابك إلى الأفشين ففض معسكره، وضجر أصحاب بغا من مقامهم في رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم

ما تم على الأفشين، وقصد حصن البدّ فتعرف خبر الأفشين ورجع على غير الطريق الذي دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقباته، وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت إليهم مسابقة للمضايق أمامه. وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فعسكر بهم بغا من رأس جبل وقد تعبوا وفنيت أزوادهم وبيتهم بابك، ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجوا إلى خندقهم الأول في أسفل الجبل وأقام بغا هنالك. وكان طرخان كبير قواد بابك قد استأذنه أن يشتوا بقرية في ناحية مراغة، فأرسل الأفشين إلى بعض قواده بمراغة فأسرى إليه وقتله وبعث برأسه. ودخلت سنة إثنين وعشرين فبعث المعتصم جعفر الخياط بالعساكر مدداً للأفشين، وبعث أتياخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعاد، ورحل الأفشين لأول فصل الربيع، ودنا من الحصن وخندق على نفسه. وجاءه الخبر بأن قائد بابك واسمه أدين قد عسكر بإزائه وبعث عياله إلى بعض حصون الجبل، فبعث الأفشين بعض قواده لاعتراضهم، فسلكوا مضايق وتملقوا وأغاروا إلى أن لقوا العيال فأخذوهم وانصرفوا، وبلغ الخبر أدين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء. وعلم بشأنهم الأفشين من علامات كان أمرهم بها أن رأى بهم ريباً، فركب إليهم فلما أحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم، وتقدم الأفشين قليلاً قليلاً إلى حصن البدّ وكان يأمر الناس بالركوب ليلاً للحراسة خوف البيات، فضجر الناس من التعب وارتاد في رؤوس تلك الجبال أماكن يتحصن فيها الرجال، فوجد ثلاثة فأنزل فيها الرجال بأزوادهم وسد الطرق إليها بالحجارة وأقام يحاصرهم. وكان يصلي الصبح بغلس، ثم يسير زحفاً ويضرب الطبول ليزحف الناس لزحفه في الجبال والأودية على مصافهم، وإذا أمسك وقفوا. وكان إذا أراد أن يتقدم المضيق الذي أتى منه عام أول خلف به عسكراً على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرس منه عليهم. وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكراً تحت تلك العقبة، واجتهد

الأفشين أن يعرف مكان الكمين فلم يطق. وكان يأمر أبا سعيد وجعفرًا الخياط وأحمد بن الخليل بن هشام فيتقدمون إلى الوادي في ثلاثة كراديس، ويجلس على تلك ينظر إليهم وإلى قصر بابك. ويقف بابك قبالة في عسكر قليل وقد أكن بقاء العسكر، فيشربون الخمر ويلعبون بالسرياني، فإذا صلى الأفشين الظهر رجع إلى خندقه بروذ الروز مصافاً بعد مصاف، الأقرب إلى العدو ثم الذي يليه،

وآخرين ترجع العسكر الذي عقبه المضيق، حتى ضجرت الخرمية من المطاولة، وانصرف بعض الأيام وتأخر جعفر، فخرج الخرمية من البدّ على أصحابه، فردهم جعفر على أعقابهم، وارتفع الصباح ورجع الأفشين وقد نشبت الحرب. وكان مع أبي دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البدّ، وبعث جعفر إلى الأفشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة، فأتى له وأمره بالتحيل في الانصراف، وتعلق أولئك المطوعة بالبدّ وارتفع الصباح وخرج الكمنا من تحت العقبة، وتبين الأفشين أماكنهم واطلع على خدعتهم. وانصرف جعفر إلى الأفشين وعاتبه، فاعتذر إليه يستأمن الكمين وأراه مكانه، فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأي معه. وشكا المطوعة ضيق العلوفة والزاد فأذن لهم في الانصراف، وتناولوه بالسنتهم طلبوه في المناهضة فأذن لهم ووادعهم ليوم معلوم، وتجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل لجرجان، وتقدم إلى مكانه بالأمس، وجهاز العسكر على العقبة على عادته. وأمر جعفر بالتقدم بالمطوعة وأن يأتوا من أسهل الوجوه، وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين، وتقدم جعفر إلى مكانه بالأمس والمتطوعة معه، فقاتلوا وتعلقوا بسور البدّ حتى ضرب جمعهم ما به وجاء الفعلة بالفؤوس وطيف عليهم بالمياه والأزودة. ثم جاء الخرمية من الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب، ثم تجاوزوا آخر يومهم وأمرهم الأفشين بالانصراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة، وانصرف أكثر المطوعة. ثم عاود الأفشين الحرب بعد أسبوعين، وبعث من جوف الليل ألفاً من الناشبة إلى الجبل الذي وراء البدّ حتى يعاينوا الأفشين من هذه الناحية فيرمون على الخرمية. وبعث عسكرياً آخر كميناً تحت ذلك الجبل الذي وراء البدّ، وركب هو من الغداة إلى المكان الذي يقف فيه على عادته. وتقدم جعفر الخياط والقواد حتى صاروا جميعاً

حول ذلك الجبل، فوثب كمين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء إليه لمّا فضحهم الصبح، وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركبوا الأعلام على رماحهم وقصدوا جميعاً أدين قائد بابك في جفلة، فانحدر إلى الوادي، فحمل عليه جماعة من أصحاب القواد فرمى عليهم الصخور من الجبل، وتحدرت إليهم. ولما رأى ذلك بابك استأمن للأفشين على أن يحمل عياله من البدّ، وبينما هم في ذلك إذ جاء الخبر إلى الأفشين بدخول البدّ. وأن الناس صعدوا بالأعلام فوق قصور بابك حتى دخل وادياً هنالك.

وأحرق الأفشين قصور بابك وقتل الخرميه عن آخرهم، وأخذ أمواله وعياله ورجع إلى معسكره عند المساء، وخالفه بابك إلى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام. وجاء الأفشين من الغد فهدم القصور وأحرقها، وكتب إلى ملوك أرمينية وبطارقتهم بإذكاء العيون عليه في نواحيهم حتى يأتوه به. ثم عثر على بابك بعض العيون في واد كثير الغياض يمر من أذربيجان إلى أرمينية، فبعث من يأتي فلم يعثروا عليه لكثرة الغياض والشجر. وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الأفشين بعض المستأمنة أصحاب بابك فامتنع من قبوله. وقتل بعضهم ثم خرج من ذلك الوادي هو وأخوه عَبْدُ الله ومعاوية وأمه يريدون أرمينية، ورآهم الحرس الذين جاؤا لأخذه، وكان أبو السفاح هو المقدم عليهم فمروا في أتباعهم وأدركوهم على بعض المياه، فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وأم بابك وبعث بهم إلى الأفشين. وسار بابك في جبال أرمينية مختفياً وقد أذكوا عليه العيون، حتى إذا مسه الجوع بعث بعض أصحابه بدنانير لشراء قوتهم، فعثر به بعض المسلحة. وبعث إلى سهل بن ساباط فجاء واجتمع بصاحب بابك الذي كانت حراسة الطريق عليه، ودله على بابك فأتاه وخادعه حتى سار إلى حصنه وبعث بالخبر إلى الأفشين، فبعث إليه بقائدين من قبله وأمرهما بطاعة ابن ساباط، فأكمنهما في بعض نواحي الحصن وأغرى بابك بالصيد وخرج معه. فخرج القائدان من الكمين فأخذهما وجاء به إلى الأفشين ومعهما معاوية بن سهل بن ساباط فحبسه ووكل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم، وآتى سهلاً ألف درهم ومنطقة مفرقة بالجوهر. وبعث إلى عيسى بن يوسف بن أسطقانوس ملك البيلقان يطلب منه عَبْدُ الله أخا بابك، وقد كان لجأ إلى حصنه عندما أحاط به ابن ساباط فأنفذه إليه، وحبسه الأفشين مع أخيه. وكتب إلى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك في شوال من سنة إثنين وعشرين، وسار الأفشين بهما إلى سامرا فكان يلقاه في كل

رحلة رسول من المعتصم بخلة و فرس. ولما قرب من سامرا تلقاه
الواثق وكبر لقدمه وأنزل الأفشين وباك عنده بالمطيرة، وتوج
الأفشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة
آلاف ألف درهم يفرقها في عسكره، وذلك في صفر سنة ثلاث
وعشرين. وجاء أحمد بن أبي داود إلى بابك متنكراً وكلمه، ثم جاء
المعتصم أيضاً

متنكراً فرآه. ثم عقد من الغد واصطف النظارة سماطين وجيء باباك راكباً على الفيل. فلما وصلا أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذبحه، وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب شلوه بسامرا وبعث بأخيه عبْد الله إلى إسحق بن إبراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل. وكان الذي أنفق الأفشين في مدة حصاره لبابك سوى الأرزاق والأنزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لمحاربته وخمسة آلاف يوم قعوده. وجميع من قتل بابك في عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألفاً، وهزم من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحمد بن الجنيد وزريق بن علي بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وإبراهيم بن الليث. وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذي استنقذ من يديه من المسلمين وأولادهن سبعة آلاف وستمائة إنسان جعلوا في حظيرة، فمن أتى من أوليائهم وأقام بينه على أحد منهم أخذه، والذي صار في يد الأفشين من بني بابك وعياله سبعة عشر رجلاً وثلاثاً وعشرين امرأة.

فتح عمورية :

وفي سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد المسلمين، فأوقع بأهل زبطرة ، لأن بابك لما أشرف على الهلاك كتب إليه أن المعتصم قد وجه عساكره حتى خياطة يعني جعفر بن دينار وطباخة يعني إيتاخ ولم يبق عنده أحد، فانتهاز الفرصة ثلاثاً أو دونها. وظن بابك، أن ذلك يدعو المعتصم إلى إنفاذ العساكر لحرب الروم، فيخص عنه ما هو فيه. فخرج نوفل في مائة ألف وفيهم من المجرمة الذين كانوا خرجوا بالجيال وهزمهم إسحق بن إبراهيم بن مصعب فلحق بالروم، وبلغ نوفل زبطرة فاستباحها قتلاً وسيياً وأعاد على ملطية وغيرها، ومثل بالأسرى. وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه، وبلغه أن هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: وامعتصماه

فأجاب وهو على سريرهِ لبيك، لبيك ! . ونادى بالنفير ونهض من
ساعته فركب دابته واحتقب شكالاً وسكة من حديد فيها رداؤه. وجمع
العساكر وأحضر قاضي بغداد عَبْدَ الرحمن بن إسحق ومعه ابن سهل
في - ثلثمائة وثلاثين

من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع، ثلثاً لولده وثلثاً لمواليه وثلثاً لوجه الله. وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جمادى الأولى، وبعث عفيف بن عنبسة وعمر الفرغاني وجماعة من القواد مدداً لأهل زبطرة، فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها فأقاموا حتى تراجع الناس واطمأنوا . ولما ظفر ببابك سأل أي بلاد الروم أعظم عندهم ف قيل له عمورية فتجهز إليها بما لا يماثل أحد قبله من السلاح والآلة والعدد وحياض الأدم والقرب والروايا وجعل مقدمته أشناس وبعده محمد بن إبراهيم بن مصعب وعلى الميمنة إيتاخ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط، وعلى القلب عفيف بن عنبسة. وجاء إلى بلاد الروم فأقام بسلوقية على نهر السن قريباً من البحر، وعلى مسيرة يوم من طرطوس وبعث الأفشين إلى سروج وأمره بالدخول من درب الحرب وبعث أشناس من درب طرطوس وأمره بانتظاره بالصفصاف، وقدم وصيفاً في أثر أشناس وواعدهم يوم اللقاء. ورحل المعتصم لست بقين من رجب وبلغه الخبر أن ملك الروم عازم على كبس مقدمته، فبعث إلى أشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة أيام ليلحق به. ثم كتب إليه أن يبعث إليه من قواده من يأتيه بخبر الروم وملكهم، فبعث عمر الفرغاني في مائتي فارس، فطاف في البلاد وأحضر جماعة عند أشناس أخبروه بأن ملك الروم بينما هو ينتظر المقدمة ليواقعها إذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينية يعني عسكر الأفشين، فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار إلى تلك الناحية، فوجه أشناس بهم إلى المعتصم. وكتب المعتصم إلى الأفشين بالمقام حذراً عليه، وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم، وأوغل في بلاد الروم فلم يدركه الكتاب. وكتب المعتصم إلى أشناس بأن يتقدم والمعتصم في أثره، حتى إذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أسر أشناس في طريقه جماعة من الروم فقتلهم، وقال لهم شيخ منهم أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام

والشعيرة، فبعث معه مالك بن كرد في خمسمائة فارس فدل بهم إلى مكان أهل أنقرة فغنموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الأفشين وقالوا: لَمَّا استخلف على عسكره سار إلى ناحية أرمينية فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم واقتربت عساكرنا في طلبهم، ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك وانهزمنا، ورجعنا إلى العسكر فوجدناه قد انتقض. وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذي استخلفه وكتب إلى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدهم بمكان كذا ليلقى المسلمين بها. ووجه خصيا له إلى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا، فأمره الملك بالمشير إلى عمورية، فوعى مالك بن كرد خبرهم ورجع بالغنيمة والأسرى إلى أشناس وأطلق الأمير الذي دله. وكتب أشناس بذلك إلى المعتصم، ثم جاء البشير من ناحية الأفشين بالسلامة، وأن الوقعة كانت لخمس بقين من شعبان. وقدم الأفشين على المعتصم بأنقرة ورحل بعد ثلاث والأفشين في يمينته وأشناس في يسارته وهو في القلب، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعمورية. ثم وافى عمورية وقسمها على قواده، وخرج إليه رجل من المنتصرة فدته على عورة من السور بني ظاهره وأخل باطنه، فضرب المعتصم خيمته قبالة ونصبت عليه المجانيق، فتصدع السور. وكتب بطريقها باطيس والخصي إلى الملك يعلمانه بشأنهما في السور وغيره، فوقع في يد المسلمين مع رجلين. وفي الكتاب أن باطيس عازم على أن يخرج ليلاً ويمر بعسكر المسلمين للحاق بالملك، فنادى المعتصم حرسه. ثم انثلت فوهة من السور بين برجين، وقد كان الخندق طم بأوعية الجلود المملوءة تراباً. ثم ضرب بالذبالات عليها فدحرجها الرجال إلى السور، فنشبت في تلك الأوعية وخلص من فيها بعد الجهد. ولما جاء من الغد بالسلام والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثلمة، وحارب وبدر بالحرب أشناس وجمعت

المنجنيقات على تلك الثلثة. وحارب في اليوم الثاني الأفشين
والمعتصم راكب إزاء الثلثة، وأشناس وأفشين وخواص الخدام معه. ثم
كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم، وتقدم إيتاخ بالمغاربة
والأتراك، واشتد القتال على الروم إلى الليل وفشت فيهم الجراحات،
ومشى بطريق تلك الناحية إلى رؤساء الروم، وشكا إليهم واستمدهم
فأبوا، فبعث إلى المعتصم يستأمن، فأمنه وخرج من الغد إلى
المعتصم وكان إسمه وندوا، فبينما هو والمعتصم يحادشه أوما عَبد
الوهاب

بن علي من لين يديه إلى المسلمين بالدخول، فافتتحوا من الثلثة ورآهم وندوا فخاف، فقال له المعتصم: كل شيء تريده هو لك. ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم. وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالأمان، وجاء الناس بالأسرى والسبي من كل جانب، واصطفى الأشراف وقتل من سواهم، وبيعت مغانمهم في خمسة أيام وأحرق الباقي. ووثب الناس على المغانم في بعض الأيام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكفوا بعمورية فهدمت وأحرقت، وحاصرها خمسة وخمسين يوماً من سادس رمضان إلى آخر شوال، وفرق الأسرى على القواد ورجع نحو طرطوس. ولم يزل نوفل ملكاً على الروم إلى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين في ولاية الوائق، ونصبوا ابنه ميخايل في كفالة أمه ندورة فأقامت عليهم ست سنين، ثم اتهمها ابنها ميخايل بقمط من أقماطها عليها وألزمها بيتها سنة ثلاث وثلاثين.

حبس العباس بن المأمون ومهلكه:

كان المعتصم يقدم الأفشين على عجيف بن عنيسة ولما بعثه إلى زبطرة لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للأفشين، وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله فطوى عجيف على النكت ولقي العباس بن المأمون فعذله على قعوده عند وفاة المأمون عن الأمر حتى بوع المعتصم وأغراه قبلاً في ذلك فقبل العباس منه، ودس رجلاً من بطانته يقال له السمرقندي قرابة عبد الله بن الواح وكان له أدب ومدارة، فاستأمن له جماعة من القواد ومن خواص المعتصم فبايعوه، وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذي معه فيقتله من أصحاب المعتصم، والأفشين وأشناس بالرجوع إلى بغداد فأبى من ذلك وقال: لا أفسد العراق. فلما فتحت عمورية وصعب التدبير بعض الشيء أشار عجيف بأن يضع من ينهب الغنائم، فإذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا

مثل ما ذكرنا. وركب فلم يتجاسروا عليه. وكان للفرغاني قرابة غلام
أمرد في جملة المعتصم، فجلس مع ندمان الفرغاني تلك الليلة وقص
عليهم ركوب المعتصم، فأشفق الفرغاني وقال يا بني أقلل من المقام
عند أمير المؤمنين والزم خيمتك، وإن سمعت هيلة فلا

تخرج فأنت غلام غر. ثم ارتحل المعتصم إلى الثغور، وتغير أشناس على عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل وأساء إليهما، فطلبا من المعتصم أن يضمهما إلى من شاء وشكيا من أشناس، فقال له المعتصم أحسن أدبهما، فحبسهما وحملهما على بغل. فلما صار بالصفصاف حدث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغاني، فأمر بغا أن يأخذه من عند أشناس ويسأله عن تأويل مقالته فأنكر وقال إنه كان سكران، فدفعه إلى إيتاخ. ثم دفع أحمد بن الخليل إلى أشناس [*] عنده نصيحة للمعتصم، وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندي، فأنفذ أشناس إلى الحرث وقيده وبعث به إلى المعتصم وكان في المقدمة، فأخبر الحرث المعتصم بجلية الأثر فأطلقه وخلع عليه، ولم يصدق على القواد لكثرتهم. ثم حضر العباس بن المأمون واستحلفه أن لا يكتم عنه شيئا فشرح له القصة فحبسه عند الأفشين، وتتبع القواد بالحبس والتنكيل وقتل منهم المشاء بن سهيل ثم دفع العباس للأفشين، فلما نزل منبج طلب الطعام فأطعم ومنع الماء. ثم أدرج في بئج فمات. ولما وصل المعتصم إلى نصيبين احتفر لعمر الفرغاني بئراً وطمت عليه، ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عجيف بمثل ما قتل به العباس، واستلحم جميع القواد في تلك الأيام، وسموا العباس اللعين. ولما وصل إلى سامرا جلس أولاد المأمون في داره حتى ماتوا.

انتقاض مازيار وقتله:

كان مازيار بن قارن بن وندا هرمز صاحب طبرستان وكان منافراً لعبد الله بن طاهر فلا يحمل إليه الخراج، وقال لا أحمله إلا للمعتصم، فبيعت المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه إلى وكيل عبْد الله بن طاهر يرده إلى خراسان، وعظمت الفتنة بين مازيار وعبد الله، وعظمت سعاية عبْد الله في مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه. ولما ظفر الأفشين ببابك، وعظم محله عند المعتصم،

وطمع في ولاية خراسان ظن أن انتقاض مازيار وسيلة لذلك، فجعل
يستميل مازيار ويحرضه على عداوة ابن طاهر وإنَّ

أدت إلى الخلاف لبيعته المعتصم لحربه؟ فيكون ذلك وسيلة له إلى استيلائه على خراسان طناً بأن ابن طاهر لا ينهض لمحاربتة. فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرهاً وأخذ رهائنهم وعجل جباية الخراج، فاستكثر منه وخرب سور آمد وسور سابة وقتل أهلها إلى جبل يعرف بهرمازا باروني سرخاشان سورطمس، منها إلى البحر على ثلاثة أميال، وهي على حد جرجان، وكانت تبنيه سداً بين الترك وطبرستان وجعل عليه خندقاً ومن أهل جرجان إلى نيسابور، وأنفذ عبْد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحفظ جرجان فعسكر على الخندق، ثم بعث موله حيان بن جبلة إلى قومس فعسكر على جبال شروين. وبعث المعتصم من بغداد محمد بن إبراهيم بن مصعب، وبعث منصور بن الحسن صاحب دناوند إلى الري، وبعث أبا الساج إلى دناوند وأحاطت العساكر بحياله من كل ناحية وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان في تسليم سورهم وليس بينهما إلا عرض الخندق، فكلموه وسار الآخرون إليه على حين غفلة من القائدين، وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه، فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار فقتل، ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره، وحيء به إلى الحسن بن الحسين فقتله أيضاً. ثم وقعت بين حيان بن جبلة وبين فارو بن شهريار وهو ابن أخي مازيار ومن قواده مداخلة استمالة حيان، فأجاب أن يسلم مدينة سارية إلى حد جرجان على أن يملكوه جبال آبائه، وبعث حيان إلى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل، وكان قارن في جملة عبْد الله بن قارن أخي مازيار ومن قواده، فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم وبعث بهم إلى حيان، فدخل جبال قارن في جموعه، واعتصم لذلك مازيار وأشار عليه أخوه القوهيار أن يخلي سبيل من عنده من أصحابه ينزلون من الجبل إلى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم، فصرف

صاحب شرطته وخراجه، وكاتبه حميدة فلاحقوا بالسهل، ووثب أهل سارية بعامله عليهم مهرستان بن شهرين، فهرب ودخل حيان سارية. ثم بعث قوهيدار أخو مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان، وكانوا قد حبسوه عند انتقاضهم فبعثه إلى حيان ليأخذ له الأمان وولاية جبال آبائه على أن يسلم إليه مازيار، وعزل قوهيدار بعض أصحابه في عدوله بالاستئمان عن الحسن إلى حيان، فرجع إليهم وكتبوا إلى الحسن يستدعون قوهيدار من أخيه مازيار فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم، ولقي حيان على فرسخ فرده إلى جبال شروين التي افتتحها، ووبخه على غيبته عنها فرجع سارية وتوفي وبعث عَبْدُ اللَّهِ مَكَانَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَمْنَعُ قَارِنٌ مَا يَرِيدُهُ، وَلَمَّا وَصَلَ الْحَسَنُ إِلَى خَرَمَابَادَ وَسَطِ جِبَالِ مَازْيَارَ لَقِيَ قَوْهِيْدَارَ هُنَالِكَ وَاسْتَوْثَقَ كُلَّ مَنِهْمَا مِنْ صَاحِبِهِ، وَكَاتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ مِنْ قَوَادِ الْمَعْتَصِمِ قَوْهِيْدَارَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَركب قاصداً إليه. وبلغ الحسن خبره فركب في العسكر وحازم يسابق محمد بن إبراهيم إلى قوهيار فسبقه ولقي قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار، فقبض عليه وبعثه مع إثنين من قواده إلى خرماباد، ومنها إلى مدينة سارية. ثم ركب واستقبل محمد بن إبراهيم بر مصعب وقال: أين تريد؟ فقال إلى المازيار: فقال هو بساريه. ثم حبس الحسن أخوي المازيار ورجع إلى مدينة سارية فقيد المازيار بالقيد الذي قيد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص. وجاء كتاب عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِأَنْ يَدْفَعَ الْمَازْيَارَ وَأَخُوَيْهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ يَحْمِلُهُمْ إِلَى الْمَعْتَصِمِ. وَسَأَلَ الْحَسَنُ الْمَازْيَارَ عَنْ أَمْوَالِهِ فَذَكَرَ أَنَّهَا عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ وَجُوهِ سَارية سَمَاهُمْ وَأَمَرَ الْحَسَنُ الْقَوْهِيَارَ بِحَمْلِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَسَارَ إِلَى الْجِبَلِ لِيَحْمِلَهَا، فَوَثَبَ بِهِ مَمَالِيكَ الْمَازْيَارَ مِنَ الدَّيْلَمِ وَكَانُوا أَلْفًا وَمِائَتَيْنِ فَقَتَلُوهُ بِثَأْرِ أَخِيهِ وَهَرَبُوا إِلَى الدَّيْلَمِ، فَاعْتَرَضَتْهُمْ جِيُوشُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَأَخَذُوهُمْ فَبِعَتْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ

سارية، وقيل إن الذي غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها، وكانت جبال طبرستان ثلاثة أجبل، فلما انتقض واحتاج إلى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاه على أصعبها، وظن أنه قد توثق به فكتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الأفشين لمازيار، وداخله في الفتك على أن يوليه ما كان لآبائه، وأن المازيار

لَمَّا وُلَاهُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ طَبْرِسْتَانَ انْتَزَعَ الْجَبَلَ مِنْ يَدِهِ، فَأَفْضَى لَهُ الْحَسَنُ كِتَابَ ابْنِ طَاهِرٍ وَتَوَثَّقَ لَهُ فِيهِ وَأَوْعَدَهُ لِيَوْمٍ مَعْلُومٍ، رَكِبَ فِيهِ الْحَسَنُ إِلَى الْجَبَلِ فَأَدْخَلَهُ ابْنُ عَمِّ مَازِيَارٍ وَحَاصِرُوهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى حَكْمِهِ، وَيُقَالُ أَخَذَهُ أُسِيرًا فِي الصَّيْدِ. وَمَضَى الْحَسَنُ بِهِ وَلَمْ يَشْعُرْ صَاحِبُ الْجَبَلِ الْآخَرُ وَأَقَامَ فِي قِتَالِهِ لَمَنْ كَانَ بِإِزَائِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَالْعَسَاكِرُ مِنْ وَرَائِهِ فَانْهَزَمَ، وَمَضَى إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ فَاتَّبَعُوهُ وَقَتَلُوهُ. وَلَمَّا صَارَ الْمَازِيَارُ فِي يَدِهِ طَلَبَتْ مِنْهُ كُتُبُ الْأَفْشِيِّينَ فَأَحْضَرَهَا، وَأَمَرَ ابْنَ طَاهِرٍ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا مَعَهُ إِلَى الْمَعْتَصِمِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ ضَرَبَهُ حَتَّى مَاتَ وَصَلَبَهُ إِلَى جَانِبِ بَابِكَ وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

ولاية ابن السيد على الموصل:

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَلَّى الْمَعْتَصِمُ عَلَى الْمَوْصِلِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّيِّدِ بْنِ أَنْسِ الْأَزْدِيَّ، وَكَانَ سَبَبُ وِلَايَتِهِ أَنْ رَجُلًا مِنْ مَقَدَّمِي الْأَكْرَادِ يَعْرِفُ بِجَعْفَرِ بْنِ فَهْرَجَسٍ كَانَ قَدْ عَصَى بِأَعْمَالِ الْمَوْصِلِ، وَتَبِعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَفْسَدُوا الْبِلَادَ فَبَعَثَ الْمَعْتَصِمُ لِحَرْبِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّيِّدِ بْنِ أَنْسٍ فَقَاتَلَهُ وَغَلِبَهُ عَلَى مَاتَعِيسٍ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَلَحِقَ بِجَبَلِ دَانَسٍ وَامْتَنَعَ بِأَعَالِيهِ، وَقَاتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَتَوَغَّلَ فِي مَضَائِقِ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَهَزَمَهُ الْأَكْرَادُ وَأَثْخَنُوا فِي أَصْحَابِهِ بِالْقَتْلِ، وَقَتَلَ إِسْحَقُ بْنُ أَنْسٍ عَمَّ عَبْدَ اللَّهِ. فَبَعَثَ الْمَعْتَصِمُ مَوْلَاهُ إِيْتَاخَ فِي الْعَسَاكِرِ إِلَى الْمَوْصِلِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَقَصَدَ جَبَلَ دَاسٍ فَقَاتَلَ جَعْفَرًا وَقَتَلَهُ وَافْتَرَقَ أَصْحَابَهُ، وَأَوْقَعَ بِالْأَكْرَادِ وَاسْتَبَاحَهُمْ وَفَرَّوْا أَمَامَهُ إِلَى تَكْرِيتٍ.

نكبة الأفشين ومقتله:

كَانَ الْأَفْشِيُّونَ مِنْ أَهْلِ أَشَرِ وَسَنَةِ تَبَوَّأَهَا وَنَشَأَ بِبَغْدَادٍ عِنْدَ الْمَعْتَصِمِ وَعَظُمَ مَحَلُّهُ عِنْدَهُ، وَلَمَّا حَاصَرَ بَابِكَ كَانَ يَبْعَثُ إِلَى أَشَرِ وَسَنَةِ بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِ فَيَكْتُبُ ابْنُ طَاهِرٍ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ، فَيَأْمُرُهُ الْمَعْتَصِمُ بِأَنْ يَجْعَلَ عِيُونَهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. وَعَثَرَ مَرَّةً ابْنَ طَاهِرٍ عَلَى تِلْكَ الْأَمْوَالِ

فأخذها وصرفها في العطاء، وقال له حاملوها: هذا مال الأفشين، فقال
كذبتُم لو كان ذلك لأعلمني أخي أفشين به وإنما أنتم لصوص، وكتب
إلى

الأفشين بذلك بأنه دفع المال إلى الجند ليوجههم إلى الترك، فكتب إليه أفشين مالي ومال أمير المؤمنين واحد، وسأله في إطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينهما وتتابعَت السعاية فيه من طاهر، وربما فهم الأفشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع في ولايتها، وكان مازيار يحسن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك إلى عزله وولاية الأفشين لحرب مازيار. فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسيق إلى بغداد مقيداً، وولى المعتصم الأفشين على أذربيجان فولى عليها من قبله منكجور من بعض قرابته، فاستولى على مال عظيم لبابك، وكتب به صاحب البريد إلى المعتصم فكذبه منكجور وهم بقتله، فمنعه أهل أردبيل فقاتلهم. وسمع ذلك المعتصم فأمر الأفشين بعزل منكجور، وبعث قائداً في عسكره مكانه، فخلع منكجور وخرج من أردبيل فهزمه القائد، ولحق ببعض حصور أذربيجان كان بابك خربه، فأصلحه وتحصن فيه شهراً ثم وثب فيه أصحابه وأسلموه إلى القائد، فقدم به إلى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الأفشين في أمره، وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأن القائد كان بغا الكبير وأنه خرج إليه بالأمان اهـ . ولما أحس الأفشين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللاحق بأرمينية، وكانت في ولايته، ويخرج منها إلى بلاد الخزر ويرجع إلى بلاد أشروسنة، وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتخط لهم صنيعاً يشغلهم فيه نهارهم، ثم يسير من أول الليل. وعرض له في أثناء ذلك غضب على بعض مواليه، وكان سيء الملكة فأيقن مولاه بالهلكة، وجاء إلى إتياخ فأحفره إلى المعتصم وخبره الخبر فأمره بإحضاره وحبسه بالجوثق، وكان ابنه الحسن عاملاً على بعض ما وراء النهر. فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر في الاحتيال عليه، وكان يشكو من نوح بن أسد صاحب بخارى. فكتب ابن طاهر إلى الحسن بولاية بخارى، وكتب إلى نوح بذلك وأن يستوثق منه إذا وصل إليه ويبعث به، ثم يبعث به إلى ابن طاهر ثم إلى

المعتصم. ثم أمر المعتصم بإحضار الأفشين ومناظرته فيما قيل عنه، فأحضر عند الوزير محمد بن عَبْد الملك بن الزياد وعنده القاضي أحمد بن أبي دواد وإسحق بن إبراهيم وجماعة القواد والأعيان، وأحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزيان بن تركش أحد ملوك الصغد ورجلان من أهل الصغد يدعيان أن الأفشين ضربهما وهما إمام ومؤذن بمسجد. فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من

اللحم، فقال ابن الزيات للأفشين: ما بال هذين؟ قال عهدا إلى معاهدين فوثبا على بيت أصنامهم فكسراها، واتخذا البيت مسجداً فعاقبتهما على ذلك. وقال ابن الزيات: ما بال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر؟ قال كتاب ورثته من آبائي وأوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه وأترك كفرهم، ولم أحتج إلى نزع حلية، وما ظننت أن مثل هذا يخرج عن الإسلام. ثم قال المؤيد إنه يأكل لحم المنخقة ويحملني على أكلها ويقول هو أرطب من لحم المذبوحة. ولقد قال لي يوماً حملت على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل، إلى هذه الغاية لم أختن ولم تسقط عني شعرة العانة. فقال الأفشين: أثقة هذا عندكم في دينه؟ وكان مجوسياً قالوا لا! قال فكيف تقبلونه عليّ؟ ثم قال للمؤيد أنت ذكرت أنني أسررت إليك ذلك، فلست بثقة في دينك ولا بكريم في عهدك ثم قال له المرزيان: كيف يكتبك أهل أشر وسنة؟ قال: ما أدري قال: أليس يكتبونك بما تفسره بالعربي: إلى اله الآلهة من عبده فلان؟ قال: بلى فقال ابن الزيات فما أبقيت لفرعون؟ قال: هذه عادة منهم لأبي وجدي ولي قبل الإسلام، ولو منعت! لفسدت علي طاعتهم. ثم قال له أنت كاتب هذا؟ وأشار إلى المازيار. كتب أخوه إلى أخي قوهيار أنه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك، فأما بابك قد قتل نفسه بجمعه ولقد عهدت أن أمنعه فأبى إلا خنقه، وأنت إن خالفت لم يرمك القوم بغيري ومعني أهل النجدة، وإن توجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا العرب والمغاربة والترك، والعربي كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه، والمغاربة أكلة رأس، والأتراك لهم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتي عليهم، ويعود هذا الدين إلى ما كان عليه أيام العجم. فقال الأفشين هذا يدعي أن أخي كتب إلى أخيه فما يجب علي؟ ولو كتب فأنا أستميله مكرأ به لأحظى عند الخليفة كما حظي به ابن طاهر، فزجره ابن أبي دواد فقال له الأفشين: ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال: أمتطهر أنت؟ قال لا! قال فما يمنعك وهو شعار الإسلام؟ قال خشيت على نفسي من قطعة! قال فكيف وأنت تلقى الرماح والسيف؟ قال تلك ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه. فقال ابن أبي دواد لبغا الكبير: قد بان لكم أمره يا بغا عليك به! فدفعه بيديه ورده إلى محبسه وضرب مازيار أربعمئة سوط فمات منها، وطلب أفشين من المعتصم أن

ينفذ إليه من يثق به، فبعث حمدون بن إسماعيل فاعتذر له عن جميع ما قيل فيه، وحمل إلى دار إيتاخ فقتل بها وصلب على باب العامة، ثم أحرق. وذلك في شعبان من سنة ست وعشرين، وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات.

ظهور المبرقع:

كان هذا المبرقع يعرف بأبي حرب اليماني وكان بفلسطين، وأراد بعض الجند النزول في داره فمنعه بعض النساء فضر بها الجندي وجاءت فشكت إليه بفعل الجندي، فسار إليه وقتله، ثم هرب إلى جبال الأردن، فأقام بها واختفي ببرقع على وجهه. وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعيب الخليفة ويزعم أنه أموي، واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا هو السفيفاني. ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بهيس وكان مطاعاً في قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف، وسرح المعتصم رجاء بن أيوب في ألف من الجند، فحام عن لقائه لكثرة من معه، عسكر قبائله ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لأعمالهم. وبينما هم في الانصراف توفي المعتصم وثار الفتن بدمشق، فأمره الواثق بقتل من أثار الفتن والعود إلى المبرقع، ففعل وقاتله فأخذه أسيراً وابن بهيس معه، وقتل من أصحابه عشرين ألفاً وحمله، وذلك سنة سبع وعشرون ومائتين.

وفاة المعتصم وبيعة الواثق:

وتوفي المعتصم أبو إسحق محمد بن المأمون بن الرشيد، منتصف ربيع الأول سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته، وبويع ابنه هرون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر. فثار أهل دمشق بأميرهم وحاصروه، وعسكروا بمرج واسط وكان رجاء بن أيوب بالرملة في قتال المبرقع، فرجع إليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم وأخذ فيهم، وقتل منهم نحو من ألف و خمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة، وصلاح أمر دمشق، ورجع رجاء إلى قتال المبرقع حتى جاء به أسيراً [*] بيعة

الوائق توجه أشناس ووشحه، وكان للوائق سمر يجلسون عنده ويفيضون في الأخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد وإحتجابهم الأموال، فأغراه ذلك بصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الأموال. فأخذ من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه، ومن سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمئة ألف، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفاً، ومن إبراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف، ومن أبي الوزر مائة وأربعين ألفاً، وكان على اليمن إيتاخ، وولاه عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار وسخطه وحبسه ثم رضي عنه وأطلقه، فلما ولي الوائق ولي إيتاخ على اليمن من قبله سار بأميان، فسار إليهما وكان الحرس إسحق بن يحيى بن معاذ ولاء المعتصم بعد عزل الأفسشين. وولى الوائق على المدينة سنة إحدى وعشرين محمد بن صالح بن العباس وبقي محمد بن داود على مكة، وتوفي عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر سنة ثلاثين، وكان على خراسان وكرمان وطبرستان، والمري وكان له الحرب والشرطة والسواد فولى الوائق على أعماله كلها ابنه طاهراً.

وقعة بغا في الاعراب:

كان بنو سليم يفسدون بنواحي المدينة ويتسلطون على الناس في أموالهم، وأوقعوا بناس من كنانة وباهلة، وبعث محمد بن صالح إليهم مسلحة المدينة ومعهم متطوعة من قُرَيْش والأنصار، فهزمهم بنو سليم وقتلوا عامتهم وأحرقوا لباسهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق، فبعث الوائق بغا الكبير، وقدم المدينة في شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلاً وأسر مثلها، واستأنوا له على حكم الوائق، فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسهم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين. ثم حج وسار إلى ذات عرق وعرض على بني هلال مثل بني سليم فأخذ من المفسدين منهم نحو ثلثمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين. ثم خرج بغا إلى بني مُرَّة فنقب أولئك الأسرى الحبس وقتلوا الموكلين فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلاً ومنعواهم من الخروج فقاتلوهم إلى الصبح ثم قتلوهم، وشق ذلك على بغا وكان سبب غيبته أن فزارة وبني مُرَّة تغلبوا على فدك فخرج إليهم وقدم رجلاً من قوَّاده يعرض عليهم الأمان، فهربوا من سطوته إلى الشام واتبعهم إلى تخوم الحجاز من الشام، وأقام أربعين ليلة ثم رجع إلى المدينة بمن ظفر منهم. وجاءه قوم من بطون غفار وفزارة وأشجع وثعلبة فاستخلفهم على الطاعة، ثم سار إلى بني كلاب فأتوه

في ثلاثة آلاف رجل، فحبس أهل الفساد منهم ألفاً بالمدينة وأطلق الباقين، وأمره الواثق سنة إثنين وثلاثين بالمشير إلى بني تميم باليمامة وما قرب منها لقطع فسادهم، فسار إليهم ولقي جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل منهم خمسين وأسر أربعين. ثم سار إلى مرة وبعث إليهم في الطاعة فامتنعوا وساروا إلى جبال السند وطف اليمامة، وبعث سراياهم فأوقع بهم في كل ناحية. ثم سار إليهم في ألف رجل فلقبهم قريباً من أضاخ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا في عسكره بالقتل والنهب. ثم ساروا تحت الليل وهو في أتباعهم يدعوهم إلى الطاعة، وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو في قلة، فحملوا عليه وهزموه إلى معسكره وإذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من وجهتهم، فلما رآهم بنو تميم من خلفهم ولوا منهزمين وأسلموا رجالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالهم أحد، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة، وأقام بمكان الوقعة واستأمن له أمراؤهم فقيدهم وحبسهم بالبصرة. وقدم عليه واجن الأشروسني في سبعمئة مقاتل مدداً، فبعثه إلى أتباعهم إلى أن بلغ تبالة من أعمال اليمن ورجع، وسار بغا إلى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفي رجل ومائتي رجل، وكتب إلى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد من عنده منهم فجاء بهم وسلموا جميعاً.

مقتل أحمد بن نصر:

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدم، وكان أحمد هذا نسيبة لأهل الحديث ويغشاه جماعة منهم مثل ابن حصين وابن الدورقي وأبي زهير، ولقن منهم النكير على الواثق بقوله بخلق القرآن. ثم تعدى ذلك إلى الشتم، وكان ينعت بالخنزير والكافر، وفشا ذلك عنه. وانتدب رجلان ممن كان يغشاه: هما أبو هرون السراج وطالب وغيرهما، فدعوا الناس له وباعه خلق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرقوا الأموال في الناس ديناراً لكل رجل وأنفذوا لثلاث تمضي من شعبان من سنة إحدى وثلاثين يظهرون فيها دعوتهم. واتفق أن رجلاً ممن بايعهم من بني الأشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم السكر، فضربوا الطبل وصاحب الشرطة إسحق بن إبراهيم غائب، فارتاع خليفته محمد أخوه فأرسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد

أحد، وأتوه برجل أعور إسمه عيسى وجدوه في الحمام، فدلهم علي بني الأشرس وعلى أحمد بن نصر وعلى أبي هرون وطالب، ثم سيق خادم أحمد بن نصر فذكر القصة، فقيض عليه وبعث بهم جميعاً إلى الوثائق بسامرا مقيدين، وجلس لهم مجلساً عاماً وحضر فيه أحمد بن أبي دؤاد، ولم يسأله الوثائق عن خروجه وإنما سأله عن خلق القرآن فقال: هو كلام الله. ثم سأله عن الرؤية فقال: جاءت بها الأخبار الصحيحة، ونصيحتي أن لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم سأل الوثائق العلماء حوله عن أمره، فقال عَبْدُ الرحمن بن إسحق قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم ! وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب. فدعا الوثائق بالصمصامة فانتضاها ومشى إليه فضربه على حبل عاتقه ثم على رأسه، ثم وخزه في بطنه ثم أجهز سيما الدمشقي عليه وحزوا رأسه، ونصب ببغداد وصلب شلوه عند بابها.

الفداء والصائفة:

وفي سنة إحدى وثلاثين عقد الوثائق لأحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والعواصم، وأمره بحضور الفداء هو وجانمان الخادم، وأمرهما أن تمتحن الأسرى باعتقاد القرآن والرؤية. وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا علي نهر اللامس على مرحلة من طرطوس، وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعة وستين، والنساء والصبيان ثمانمائة، وأهل الذمة مائة. فلما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم شاتياً وأصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس، وأسر منهم نحوها، وخرق بالنبل قرون خلق، ولقيه بطريق من الروم خام عن لقائه ثم غنم ورجع، فعزله الوثائق وولى مكانه نصر بن حمزة الخزاعي .

وفاة الوثائق وبيعة المتوكل:

وتوفي الوثائق أبو جعفر هرون بن المعتصم محمد لست بقين من سنة إثنين وثلاثين، وكانت علته الاستسقاء وأدخل في تنور مسجر فلقي خفة ثم عاوده في اليوم الثاني أكثر من الأول فأخرج في محفة فمات فيها ولم يشعروا به. وقيل إن ابن أبي دؤاد غمضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته. وحضر في الدار أحمد بن أبي

دؤاد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرح وابن الزيات، وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام إمر فألبسوه فإذا هو قصير، فقال وصيف: أمّا تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا ! ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبي دؤاد الطويلة وعممه وسلم عليه بإمارة المؤمنين ولقبه المتوكل وصلى على الواثق ودفنه، ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر، وولى على بلاد فارس إبراهيم بن محمد بن مصعب، وكان على الموصل غانم بن محمد الطويس فأقره وعزل ابن العباس محمد بن صول عن ديوان النفقات، وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف.

نكبة الوزير ابن الزيات ومهلكه:

كان محمد بن عبّد الملك بن الزيات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء، وكان لا يحفل بالمتوكل ولا يوجب حقه، وغضب الواثق عليه مرة فجاء إلى ابن الزيات ليستنزله فأساء معاملته في التحية والملاقة فقال: اذهب فإنك إذا صلحت رضي عنك. وقام عنه حزناً فجاء إلى القاضي أحمد بن دؤاد فلم يدع شيئاً من البر إلا فعله وحياه وفداه، وخطب حاجته فقال: أحب أن ترضي عني أمير المؤمنين فقال: أفعل ونعمة عين ! ولم يزل بالواثق حتى رضي عنه، وكان ابن الزيات كتب إلى الواثق عندما خرج عنه المتوكل أن جعفر أتاني فسأل الرضا عنه وله وفرة شبه زي المخنثين، فأمره الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجاماً أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقد له ذلك وأساء له. ولما ولي الخلافة بقي شهراً ثم أمر إيتاخ أن يقبض عليه ويقيده بداره ويصادره، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين فصادره واستصفى أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب، ثم جعله في تنور خشب في داخله مسامير تمنع من الحركة وتزعج من فيه لضيقه، ثم مات منتصف ربيع الأول، وقيل: إنه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله. وكان عمر بن الفرّح الرخجي يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له، ولما استخلف قبض عليه في رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف.

نكبة إيتاخ ومقتله:

كان إيتاخ مولى السلام الأبرص، وكان عنده ناخورياً طباخاً، وكان شجاعاً فاشتره المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع في دولته ودولة الواثق ابنه، وكان له المؤنة بسامرا مع إسحق بن إبراهيم بن مصعب، وكانت نكبة العظماء في الدولة على يديه وحبسهم بداره، مثل أولاد المأمون وابن الزياد وصالح وعجيف وعمر بن الفرّج وابن الجنيد وأمثالهم، وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والأترّك. وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعريد على إيتاخ، وهم إيتاخ يقتله ثم غدا عليه فاعتذر له ودس عليه من زين له الحج فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمر به. وسار لذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وسار العسكر بين يديه وجعلت الحجابة إلى وصيف الخادم، ولما عاد إيتاخ من الحج بعث إليه المتوكل بالهدايا والألطف، وكتب إلى إسحق بن إبراهيم بن مصعب يأمره بحبسه. فلما قارب بغداد كتب إليه إسحق بأن المتوكل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بنو هاشم ووجوه الناس، وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك، ووقف إسحق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول إليه، ووكل بالأبواب ثم قبض على ولديه منصور مظفر وكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد، وبعث إيتاخ إليه يسأله الرفق بالولدين ففعل، ولم يزل إيتاخ مقيداً بالسجن إلى أن مات فقيل: إنهم منعوه الماء، وبقي ابنه محبوسين إلى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل.

شأن ابن البغيث:

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتنعاً في حصونه بأذربيجان وأعظمها مرند، واستنزل من حصنه أيام المتوكل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمرند، وقيل: إنه في حبس إسحق بن إبراهيم بن مصعب وشفع فيه بغا الشرابي، فأطلقه إسحق في كفالة محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وكان يتردد إلى سامرا حتى

مرض المتوكل ففر ولحق بمرند وشحنها بالأقوات، وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتي رجل، والوالي بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم بن هرثمة فلم يقامعه، فعزله المتوكل وولى حمدويه بن علي بن الفضل السعدي، فسار إليه وحاصره بمرند مدة وبعث إليه المتوكل بالمدد، وطال الحصار فلم يقن فيه، فبعث بغا الشرابي في ألفي فارس فجاء لحصاره. وبعث إليه عيسى بن الشيخ بن السلسل بالأمان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل، فنزل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق ببغا وخرج هو هارباً، ونهبت منازل وأسرت نساؤه وبناته. ثم أدرك بطريقه واتي به أسيراً وبأخويه صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيث، وجاء بهم بغا إلى بغداد وحملهم على الحجال يوم قدومه حتى رآهم الناس وحبسوا. ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه في الشاكرية مع عبد الله بن يحيى خاقان.

بيعة العهد:

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمدا وطلحة وإبراهيم، ويقال في طلحة ابن الزبير، وجعل محمداً أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه أفريقية والمغرب وقنسرين والثغور الشامية والخزيرة، وديار مضر وديار ربيعة، وهيت والموصل وغانة والخابور، وكور دجلة والسواد والخرميين وحضرموت والخرميين والسند ومكران وقندايل وكور الأهواز والمستغلات بسامرا، وماء الكوفة وماء البصرة. وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز، وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والمري وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس. ثم أضاف إليه سنة أربعين خزن الأموال ودور الضرب في جيم الأفاق، وأمر أن يرسم اسمه في السكة. وجعل الثالث إبراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الأعمال الشامية. وفي هذه السنة أمر الجند بتغيير

الذي فلبسوا الطيالسة العسلية وشدوا الزنانير في أوساطهم [*] وجعلوا الطراز في لباس المصاليك، ومنع من لباس المناطق، وأمر بهدم البيع المحدث لأهل الذمة، ونهى أن يستغاث بهم في الأعمال وأن يظهروا في شعابهم الصلبان، وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب.

ملك محمد بن إبراهيم:

كان محمد بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس، وهو ابن أخي طاهر، وكان أخوه إسحق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان ابنه محمد بباب الخليفة بسامرا نائبا عنه. فلما مات إسحق سنة خمس وثلاثين ولاء المتوكل وضم إليه أعمال أبيه، واستخلفه المعتز على اليمامة والبحرين ومكة وحمل إلى المتوكل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيرا، وبلغ ذلك محمد بن إبراهيم فتنكر للخليفة ولمحمد ابن أخيه، وشكا ذلك محمد إلى المتوكل فسرجه إلى فارس وولاه مكان عمه محمد، فسار وعزل عمه محمدا وولى مكانه ابن عمه الحسين بن إسماعيل بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه الشراب فمات.

انتقاض أهل أرمينية:

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البطريق بقراط بن أسواط، وهو بطريق البطارقة، يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما إلى المتوكل، فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زرارعة وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين، وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه. فسرح المتوكل بغا الكبير، فسار إلى الموصل والجزيرة وأناخ على أردن حتى أخذها وحمل موسى وأخوته إلى المتوكل، وقتل منهم ثلاثين ألفا وسبى خلقا وسار إلى مدينة دبل فأقام بها شهرا، ثم سار إلى تفليس فحاصرها وبعث في مقدمته بزرع التركي، وكان بتفليس

إسحق بن إسماعيل بن إسحق مولى بني أُمَيَّة فخرج وقتلهم، وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر، فأمر بغا أن يرمي عليها بالنفط فاضطربت النار في الخشب، واحتترقت قصور إسحق وجواريه وخمسون ألف إنسان وأسر الباقون، وأحاطت الأتراك والمغاربة بإسحق فأسروه وقتله بغا لوقته، ونجا أهل إسحق بأمواله إلى سعدنيل، مدينة حذاء تفليس على نهر الكرمن من شرقيه بناها أنوشروان وحصنها إسحق، وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا، ثم بعث الجند إلى قلعة أخرى بين بردعة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها. ثم سار إلى عيسى بن يوسف في قلعة كيس من كور البيلقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من البطارقة، وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

عزل ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكتم:

وفي سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وقبض ضياعه وحبس أولاده، فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوي عشرين ألفاً، ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم وفلح أحمد، فأحضر المتوكل يحيى بن أكتم وولاه قضاء القضاة، وولى أبا الوليد بن أبي دؤاد المظالم ثم عزله. وولى أبا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله، وولى يحيى بن أكتم على المظالم ثم عزله سنة أربعين، وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف حربو، وولى مكانه جعفر بن عبْد الواحد بن جعفر بن سليمان بن عليّ. وتوفى في هذه السنة أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه أبي الوليد بعشرين يوماً وكان معتزلياً أخذ مذهبهم عن بشر المريسي وأخذه بشر عن جهم بن صفوان، وأخذه جهم عن الجعد بن دهم معلم مروان.

انتقاض أهل حمص :

وفي سنة سبع وثلاثين وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه وقتلوا من أصحابه، فولى مكانه محمد بن عبدويه الأنباري فأساء إليهم وعسف فيهم فوثبوا به، وأمره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره.

اغارة البجاة على مصر:

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس إلى أهل مصر، فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المتوكل، فشاور الناس في غزوهم فأخبروه أنهم أهل إبل وشاء وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد وإن فُيت الأزواد هلك العسكر فأمسك عنهم. وخاف أهل الصغد من شرهم فولى المتوكل محمد بن عَبد الله القمي على أسوان وقفت والأقصر وأسنا وأرمنت، وأمره بحرب البجاة. وكتب إلى عنبسة بن إسحق الضبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار في عشرين ألفاً من الجند والمتطوعة، وحملت المراكب من القلزم بالدقيق والتمر والأدم إلى سواحل بلاد البجاة، وانتهى إلى حصونهم وقلاعهم. وزحف إليه ملكهم وإسمه علي بابا في إضعاف عساكرهم على المهاري، وطاولهم علي بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرقها القمي في أصحابه، فناجزهم البجاة الحرب وكانت إبلهم نفورة، فأمر القمي جنده باتخاذ الأجراس بخيلهم. ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلاً وأسراً حتى استأمنوا على أداء الخراج لِمَا سلف ولما يأتي وأن يرد إلى مملكته، وسار مع القمي إلى المتوكل واستخلف ابنه، فخلع القمي عليه وعلى أصحابه وكسا أرجلهم الجلال

المديحة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة، وولى عليهم سعداً الإيتاخي الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع معهم واستقامت ناحيتهم.

الصوائف:

وفي سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط أسطول الروم في مائة مركب فكبسوها، وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا إلى مصر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن إسحق الضبي فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبياً ومتاعاً، وذهبوا إلى تنيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقطعوا. وغزا بالصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرميني صاحب الصوائف، وفي سنة إحدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين، وكان ندورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصر، فتنصر الكبير منهم. ثم طلبت المفاداة فيمن بقي فبعث المتوكل سيفاً الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد، واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب،. وكان الفداء على نهر اللامس. ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم. ولما رجع علي بن يحيى الأرميني من الصائفة خرجت الروم في ناحية سمسياط فانتبهوا إلى آمد، واكتسحوا نواحي الثغور والخزيرة نهبا وأسروا نحواً من عشرة آلاف ورجعوا وأتبعهم قرشاس وعمر بن عبد القطع وقوم من المتطوعة فلم يدركوهم، وأمر المتوكل علي بن يحيى أن يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل. وفي سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد إلى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسي إليها فأقام بها شهرين، ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع، وفي سنة خمس وأربعين أغارت الروم على

سميساط فغنموا، وغزا علي بن يحيى الأرميني بالصائفة كركرة وانتقض أهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه إلى بعض موالي المتوكل، فأطلق ملك الروم في فداء البطريق ألف أسير من المسلمين. وفي سنة ست وأربعين غزا عمر بن عبيد الله الأقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس، وغزا قرشاش فجاء بخمسة آلاف رأس، وغزا الفضل بن قاران في الأسطول بعشرين مركباً فافتتح حصن أنطاكية وغزا ملكها دورهم وسبا، وغزا علي بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر عشرة آلاف، وكان على يده في تلك السنة الفداء في ألفين وثلاثمائة من الأسرى.

الولايات في النواحي:

ولى المتوكل سنة إثنين على بلاد فارس محمد بن إبراهيم بن مصعب، وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسي، واستوزر لأول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيات. وولى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزدي، وعزل الفضل بن مروان. وولى على ديوان النفقات إبراهيم بن محمد بن حتول. وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر، وعزل محمد بن عيسى. وولى على حجابة بابه وصيفاً الخادم عندما سار إيتاخ للحج. وفي سنة خمس وثلاثين عهد لأولاده كما مر، وولى على الشرطة ببغداد إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن سهل في سنة واحدة. وفي سنة ست وثلاثين استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولى على أرمينية وأذربيجان جرباً وخراجاً يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف المروذوذى عندما توفي أبوه فجاءه فسار إليها وضبطها، وأساء إلى البطارقة بالناحية، فوثبوا به كما مر وقتلوه. وبعث المتوكل بغا الكبير في العساكر فأخذ ثأره منهم، وولى معادن السواد عبد الله بن إسحق بن إبراهيم. وفي سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبي دؤاد عن القضاء وصادره، وولى مكانه يحيى بن أكرم. وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولاه الشرطة والجزية وأعمال السواد، وكان على مكة علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور فحج بالناس، ثم ولى مكانه في السنة القابلة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى. وولى على الأحداث بطريق مكة

والمواسم جعفر بن دينار، وكان على. حمص أبو المغيب موسى بن إبراهيم الرافقي وثبوا به سنة تسع وثلاثين، فولى مكانه محمد بن عبدويه. وفي سنة تسع وثلاثين عزل يحيى بن أكثم عن القضاء، وولى مكانه جعفر بن عَبد الواحد بن جعفر بن سليمان. وفي سنة إثنين وأربعين ولى على مكة عَبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام، وولى على ديوان النفقات الحسن بن مخلد بن الجراح عندما توفي إبراهيم بن العباس الصولي وكان خليفته فيها من قبل. وفي سنة خمس وأربعين اختط المتوكل مدينته وأنزلها القواد والأولياء وأنفق عليها ألف ألف دينار، وبنى فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله في علوه وأجرى له الماء في نهر احتفره وسماها المتوكلية، وتسمى الجعفري والماخورة. وفيها ولى على طريق مكة أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة. وولى على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سلمة وكانت له صولة على العمال، فكان ينام المتوكل فسعى عنده في الحسن بن مخلد، وكان معه على ديوان الضياع ولى موسى بن عقبة عَبد الملك وكان على ديوان الخراج، وضمن للمتوكل في مصادرتهم أربعين ألفاً. وأذن المتوكل وكانا منقطعين إلى عبيد الله بن خاقان، فتلطف عند نجاح وخادعه حتى كتب علي الرقعتين، وأشار إليه بأخذ ما فيهما معاً وبدأ بنجاح فكتبه وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع، ثم ضرب فمات وصودر أولاده في جميع البلاد على أموال جمعة.

مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه:

كان المتوكل قد عهد إلى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الأمر لنفسه، وكان يسميه المنتصر والمستعجل لذلك. وكان المنتصر تنكر عليه انحرافه عن سنن سلفه فيما ذهبوا إليه من مذهب الاعتزال والتشيع لعلي، وربما كان الندمان في مجلس المتوكل يفيضون في ثلب علي فينكر المنتصر ذلك ويتهددهم ويقول للمتوكل: إن علياً هو كبير بيننا وشيخ بني هاشم، فإن كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصفاغين سبيلاً إلى ذلك فيستخف به ويشتمه، ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه ويتهدده بالقتل ويصرح بخلعه. وربما استخلف ابنه الحبر في الصلاة والخطبة مراراً وتركه، فطوى من ذلك على النكت. وكان المتوكل قد

استفسد إلى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن، فأفسدوا عليه الموالي. وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسميساط لتعهد الصوائف، فسار لذلك واستخلف مكانه ابنه موسى في الدار، وإن ابن خالة المتوكل، واستخلف على الستر بغا الشرابي الصغير. ثم تغير المتوكل لوصيف وقبض ضياعه بأصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان، فتغير وصيف لذلك وداخل المنتصر في قتل المتوكل، وأعد لذلك جماعة من الموالي بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر، وجاءوا في الليلة التي اتعدوا فيها. وحضر المنتصر ثم انصرف على عادته، وأخذ زرافة الخادم معه، وأمر بغا الشرابي الندمان بالانصراف حتى لم يبق إلا الفتح وأربعة من الخاصة، وأغلق الأبواب إلا باب دجلة فأدخل منه الرجال وأحس المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم، واستماتوا وابتدروا إليه فقتلوه. وألقى الفتح نفسه عليهم ليقه فقتلوه. وبعث إلى المنتصر وهو ببیت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر، وبايع له زرافة وركب إلى الدار فبايعه من حضر، وبعث إلى وصيف إن الفتح قتل أبي فقتلته. فحضر وبايع، وبعث عن أخويه المعتز والمؤيد فحضرا وبايعا له. وانتهى الخبر إلى عبيد الله بن يحيى فركب من ليله وقصد منزل المعتز فلم يجده، واجتمع عليه عشرة آلاف من الأزد والأرمن والزواquil، وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك، وأصبح المنتصر فأمر بدفن المتوكل والفتح، وذلك لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين. وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم وركب بعضهم بعضاً، وقصدوا باب السلطان، فخرج إليهم بعض الأولياء فاسمعوه، ورجع فخرج المنتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشردهم عن الأبواب فتفرقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس.

خلفاء بني العباس أيام الفتنة

الخبر عن الخلفاء من بني العباس أيام الفتنة، وتغلب الأولياء

وتضايق نطاق الدولة باستبداد الولاة في النواحي

من لدن المنتصر إلي أيام المستكفي

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدت إياهم على جميع ممالك الإسلام، كما كان بنو أمية من قبلهم. ثم لحق بالأندلس من فل بني أمية من ولدها هاشم بن عبد الملك حافده عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، ونجا من تلك الهلكة فأجاز البحر ودخل الأندلس، فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهري، وخطب للسفاح فيها حولاً ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعذله في ذلك فقطع الدعوة عنهم. وبقيت بلاد الأندلس مقطوعة من الدولة الإسلامية عن بني العباس. ثم لما كانت وقعة فتح أيام الهادي علي بن الحسن بن علي سنة تسع وتسعين ومائة، وقتل داعيتهم يومئذ حسين بن علي بن حسن المثنى وجماعة من أهل بيته ونجا آخرون، وخلص منهم إدريس بن عبد الله بن حسن إلى المغرب الأقصى، وقام بدعوته البرابرة هنالك، فاقطع المغرب عن بني العباس فاستحدثوا هنالك دولة لأنفسهم. ثم ضعفت الدولة العباسية بعد الاستفحال، وتغلب على الخليفة فيها الأولياء والقراة والمصطنعون، وصار تحت حُجرهم من حين قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد، وصار العلوية إلى النواحي مظهرين لدعوتهم، فدعا أبو عبد الله الشيعي سنة ست وثمانين ومائتين بإفريقية في طامة لعبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ويأيع له، وانتزع إفريقية من يد بني الأغلب واستولى عليها وعلى المغرب الأقصى ومصر والشام، واقتطعوا سائر هذه الأعمال عن بني العباس واستحدثوا له دولة أقامت مائتين وسبعين سنة كما يذكر في أخبارهم. ثم ظهر بطبرستان من العلوية الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط ويعرف بالداعي، خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحق بالديلم فأسلموا على يديه، وملك طبرستان ونواحيها، وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة إحدى وثلاثمائة الأطروش من بني الحسين، ثم من بني علي، عمر داعي الطالقان أيام المعتصم، وقد مر

خبره. واسم هذا الأطروش الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر، وكانت لهم دولة وانقرضت أيام الحسين، واستولى عليها الديلم، وصارت لهم دولة أخرى.

وظهر باليمن الرئيس وهو ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى فأظهر هنالك دعوة الزيدية وملك صعدة وصنعاء وبلاد اليمن، وكانت لهم هنالك دولة ولم تنزل حتى الآن. وأول من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاسم سنة تسعين ومائتين ثم ظهر أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج ادعى أنه أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهدي، وطعن الناس في نسبه فادعى أنه من ولد يحيى بن زيد قتيل الجوزجان، وقيل إنه انتسب إلى طاهر بن الحسين بن علي والذي ثبت عند المحققين أنه علي بن عبد الرحيم بن عبد القيس، فكانت له ولبنيه دولة بنواحي البصرة أيام الفتنة قام بها الزنج إلى أن انقرضت على يد المعتضد أيام السبعين ومائتين. ثم ظهر القرظ بنواحي البحرين وعمان فسار إليها من الكوفة سنة تسع وسبعين أيام المعتضد، وانتسب إلى بني إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق دعوى كاذبة، وكان من أصحابه الحسن الجمالي وزكرونة القاشاني فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا لعبد الله المهدي وغلبوا على البصرة والكوفة، ثم انقطعوا عنها إلى البحرين وعمان، وكانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سليم وبني عقيل. وفي خلال ذلك استبد بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا على الدعوة إلا أنهم لا ينفذون أوامر الخلفاء، وأقامت دولتهم إلى آخر المئة الرابعة، ثم اتصلت دولة أخرى في مواليتهم بغزنة إلى منتصف المائة السادسة، وكانت للأغلبة بالقيروان وإفريقية دولة أخرى بمصر والشام بالاستبداد من لدن الخمسين والمائتين أيام الفتنة إلى آخر المائة الثالثة ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طفج إلى الستين والثلثمائة. وفي خلال هذا كله. تضايق نطاق الدولة العباسية إلى نواحي السواد والجزيرة فقط، إلا أنهم قائمون ببغداد على أمرهم. ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على النواحي وملكوا الأعمال ثم ساروا إلى بغداد وملكوها وصيروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعوام الثلاثين والثلثمائة، وكانت من أعظم الدول. ثم أخذها من أياديهم السلجوقية من الغز إحدى شعوب الترك، فلم تنزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة إلى آخر المائة

السادسة، وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم. وتشعبت عنها دول هي متصلة إلى عهدنا حسبما يذكر ذلك كله في مكانه، ثم استبد الخلفاء من بني العباس آخراً في هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس، إلى أن خرج التتار من مفازة الصين وزحفوا إلى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية، وزحفوا إلى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم، وانقرض أمر الخلافة، وذلك سنة ست وخمسين وستمائة. ثم أسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة، وتشعبت عنها دول لهم ولأشباعهم في النواحي وهي باقية لهذا العهد آخذة في الثلاثين كما نذكر ذلك كله في أماكنه.

دولة المنتصر:

ولما بويغ المنتصر كما ذكرناه ولى على المظالم أبا عمرو أحمد بن سعيد، وعلى دمشق عيسى بن محمد النوشري، وكان على وزارته أحمد بن الخصب، واستقامت أموره وتفاوض وصيف وبغا وأحمد بن الخصب في شأن المعتز والمؤيد لما توقعوا من سطوتهما بسبب قتل المتوكل، فحملوا المنتصر على خلعهما لأربعين يوماً من خلافته وبعث إليهما بذلك، فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وأوهموه القتل، فخلا به المؤيد وتلطف به حتى أجاب وخلع نفسه وكتب ذلك بخطهما. ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الأمراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم إلى ذلك خشية عليكما منهم، فقبلا يده وشكرا له وشهد عليهما القضاة وبنو هاشم والقواد ووجوه الناس، وكتب بذلك المنتصر إلى الآفاق وإلى محمد بن طاهر ببغداد. ثم إن أحمد بن الخصب أخا المنتصر أمر بإخراج وصيف للصائفة وإبعاده عن الدولة لما بينهما من الشحنة، فأحضره المنتصر وقال له: قد أتانا من طاعة الروم أنه أفسد الثغر فلا بد من مسيرك أو مسيري، فقال بل أنا أشخص يا أمير المؤمنين! فأمر أحمد بن الخصب أن يجهزه وبزيح علل العسكر معه، وأمره أن يوافي ثغر ملطية، فسار، وعلى مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح، وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد الاقروالي أن يأتيه رأيته.

وفاة المنتصر وبيعة المستعين:

ثم أصابت المنتصر علة الذبحة فهلك لخمس بقين من ربيع الأول من سنة ثمان

وأربعين ومائتين لسته أشهر من ولايته، وقيل بل أكثر من ذلك، فجعل السم في مشرطة الطبيب فاجتمع الموالي في القصر وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش وغيرهم، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسية على الرضا بمن يرضونه لهم، ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الخصيب، فعدلوا عن ولد المتوكل خوفاً منهم ونظروا في ولد المعتصم فبايعوه واستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش وغدا على دار العامة في زي الخلافة، وإبراهيم بن إسحق يحمل بين يديه الحربة، وصفت المماليك والأشروسية صفين بترتيب دواجن، وحضر أصحاب المراتب من العباسيين والطالبين، وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبّده الله بن طاهر، والغوغاء فشهبوا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشدوا على أصحاب دواجن فتضعضوا، ثم جاءت المبيضة والشاكرية وحمل عليهم المغاربة والأشروسية، فنشبت الحرب وانتهبت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة، وجاء بغا الصغير، فدفعهم عنها وقتل منهم عدة وفتفت السجون وتمت بيعة الأتراك للمستعين، ووضع العطاء على البيعة وبعث إلى محمد بن عبّده الله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد.

ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبّده الله بن طاهر بخراسان، وهلك عمه الحسين بن طاهر بمرو، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه، وعقد لمحمد بن عبّده الله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين، وولى عمه طلحة على نيسابور، وابنه منصور بن طلحة على مرو وسرخس وخوارزم، وعمه الحسين بن عبّده الله على هراة وأعمالها، وعمه سليمان بن عبّده الله على طبرستان، والعباس ابن عمه على الجوزجان والطاقان. ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أناجور من قواد الترك إلى العمرط الثعلبي فقتله، واستأذنه عبّده الله بن يحيى بن خان في الحج فأذن له، ثم بعث خلفه من نفاه إلى برقة، وحبس المعتز والمؤيد في حجره بالجوسق بعد أن أراد قواد الأتراك قتلها، فمنعهم أحمد بن الخصيب من ذلك، ثم قبض على أحمد بن الخصيب فاستصفى ماله ومال ولده ونفاه إلى قرطيش

واستوزر أتامش وعقد له على مصر والمغرب، وعقد بغا الصغير على حلوان وماسيدان ومهرجا تعرف، وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمة وخاصة أموره وخدمه، وأشناس على جميع الناس. وعزل علي بن يحيى الأرمني عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان. وكان على حمص كندر، فوثب به أهلها فأخرجوه، فبعث المستعين الفضل بن قارن وهو أخو مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم إلى سامرا، وبعث المستعين إلى وصيف وهو بالثغر الشامي بأن يغزو بالصائفة، فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية. ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير، واستأذنه عمر بن عبد الله الأقطع في تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل في جماعة من أهل ملطية ولقي ملك الروم فخرج الأسقف في خمسين ألفاً أجاطوا به، وقتل عمر في ألفين من المسلمين. وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم، وبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قابل من أرمينية إلى ميفارقين ومعه جماعة من أهلها، فنفر إليهم وهو في نحو أربعمئة فقتلوا وقتل.

فتنة بغداد وسامرا:

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلي بن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغناء في الجهاد، واشتد نكيرهم على الترك في غفلتهم عن المصالح، وتذكروا قتل المتوكل واستيلاءهم على الأمور، فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير إلى الجهاد. وانضم إليهم الشاكزية يطلبون أرزاقهم، ثم فتقوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر. ثم أخرج أهل اليسار من بغداد الأموال ففرقوها في المجاهدين، وجاءت العامة من الجبال وفارس والأهواز فنفروا للغزو، ولم يظهر للمستعين ولا لأهل الدولة في ذلك أثر. ثم وثب العامة بسامرا وفتقوا السجون وخرج من كان فيها، وجاء جماعة من الموالي في طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم، وركب بغا ووصيف وأتامش في الترك فقتلوا من العامة خلقا وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة.

مقتل أتامش:

كان المستعين لما ولي أطلق يد أمه وأتامش وشاهك الخادم في الأموال، وما فضل عنهم فلنفقات العباس بن المستعين وكان في حجر أتامش، فبعث ذلك عليه بغا

و وصيف، وضاق حال الأتراك والفراعنة ودمهم عليهم بغا ووصيف، فخرج منهم أهل الكرخ والدور وقصدوه في الجوسق مع المتعين، وأراد الهرب فلم يطق واشجار بالمستعين فلم يجره، وحاصروه يومين. ثم افتتحوا عليه الجوسق وقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم ونهبت أموالهم، واستوزر المستعين مكانه أبا عَبد الله بن محمد بن علي علي الأهواز، وبغا الصغير على فلسطين. ثم غضب بغا الصغير على أبي صالح فهرب إلى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد.

ظهور يحيى بن عمر ومقتله:

كان على الطالبين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى أبا الحسين، وأمه من ولد عَبد الله بن جعفر وكان من سُراتهم ووجوهم، وكان عمر بن فرج يتولى أمر الطالبين أيام المتوكل، فعرض له أبر الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدين لزمه، فأغلظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق إلى بغداد. لم جاء إلى سامرا، وقد أملق فتعرض لوصيف في رزق يجرى له، فأساءه عليه وإليها فرجع إلى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن علي من قبل محمد بن عَبد الله بن طاهر، فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من الأعراب وأهل الكوفة، ودعا للرضى من آل محمد ففتق السجون ونهبها وطرد العمال، وأخذ من بيت المال ألفي دينار وسبعين ألف درهم. وكان صاحب البريد قد طير بخبره إلى محمد بن عَبد الله بن طاهر، فكتب إلى عامله بالسواد عَبد الله بن محمود السرخسي أن يصير مددا إلى الكوفة، فلقيه وقتله، فهزمهم يحيى، وانتهب ما معهم وخرج إلى سواد الكوفة وتبعه خلق من الزيدية، وانتهى إلى ناحية واسط وكثرت جموعه، وسرح محمد بن عَبد الله بن طاهر إلى محاربة الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب في العساكر فسار إليه.

وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عَبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس فهزمه يحيى إلى ناحية ساها، ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية واشتمل عليه عامة أهل الكوفة وإمداد الزيدية من بغداد، وجاء الحسين بن إسماعيل وانضم إليه عَبد الرحمن بن الخطاب، وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصبح العساكر فساروا إليه فهزموه ووضعوا السيف في أصحابه، وأسروا الكثير من أتباعه كان منهم الهيصم العجلي

وغيره، وانجلت الحرب عن يحيى بن عمر قتيلا فبعثوا برأسه إلى محمد بن عَبد الله بن طاهر فبعث به إلى المستعين، وجعل في صندوق في بيت السلاح، وجيء بالأسرى فعبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين.

الدولة العلوية

ابتداء الدولة العلوية بطبرستان

لَمَّا ظهر محمد بن عَبد الله بن طاهر بيحيى بن عمرو وكان له من الغناء في حربه ما قدمناه، أقطعه المستعين قطائع من صوافي السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس، وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلاً، مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعي، وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمه سليمان بن عَبد الله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع، وكان سليمان مكفولاً لأمه، وقد حظي عندها وتقدم وفرق أولاده في أعمال طبرستان. وأسأوا السيرة في الرعايا، ودخل حمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسالمون، فسبى منهم وانحرفوا لذلك. وجاء نائب حمد بن عَبد الله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الأرض الموات المرصدة المرافق الناس، فنكر ذلك الناظر على تلك الأرض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهما من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك، فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان. وبعث ابنا رستم إلى الديلم يستجدانهم على حرب سليمان، وبعثا إلى محمد بن إبراهيم من العلويين بطبرستان يدعوانه إلى القيام بأمره، فامتنع ودلهما على كبير العلوية بالري الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط، فشخص إليهما وقد اجتمع أهل كلار وسالوس ومقدمهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الديلم بأسرهم، فبايعوه جميعاً وطردهم عمال سليمان وابن أوس. ثم انضم إليهم جبال طبرستان وزحف الحسن بمن معه إلى مدينة أمد، وخرج ابن أوس من صارية لمدافعته، فانهزم ولحق بسليمان من سارية، فخرج سليمان لحرب الحسن. لَمَّا التقى الجمعان بعث الحسن بعض قواده خالد سليمان إلى سارية، وسمع بذلك سليمان فانهزم، وملك الحسن سارية وبعث بعيال سليمان وأولاده في البحر إلى جرجان. وقيل: إن سليمان انهزم اختياراً لَمَّا

كان بنو طاهر يتهمون به من التشيع. ثم بعث الحسن إلى الري ابن عفه وهو القاسم بن علي بن إسماعيل، ويقال محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقي بن الحسين بن علي بن زين العابدين، فملكها. وبعث المستعين جنداً إلى همدان ليمنعها. ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الري أساء السيرة، وبعث محمد بن طاهر قائد محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الري وانتزعها منه وأسرته، نجث إليه الحسن بن زيد قائده دواجن، فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الري. ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان إلى طبرستان فملكها، ولحق الحسين بالديلم، وسار سليمان إلى سارية وأمد ومعهم أبناء قارن بن شهرزاد، فصيح عنهم ونهى أصحابه عن المك والأذى. ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الري من يدي أبي دلف، وبعث مصلحا إلى طبرستان فحارب الحسن بن زيد وهزمه، واستولى على طبرستان، ولحق الحسن بالديلم ودخل مفلح أمد وخرب منازل الحسن ورجع إلى موسى بالري.

مقتل باغر:

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بغا الصغير، ولما قتل المتوكل زيد في أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمنها له بعض أهل باروسما بألفي دينار فطلبه ابن مارمة وكيل باغر، وحبسه، ثم تخلص وسار إلى سامرا، وكانت له ذمة من نصراني عند بغا الصغير، فأجاره النصراني من كيد بغا وأغراه عليه، فغضب لذلك باغر وشكى إلى بغا فأغلظ له القول، وقال: إني مستبدل من النصراني، وافعل فيه بعد ذلك ما تريد، ودس إلى النصراني بالحذر من باغر وأظهر عزله، وبقي باغر يتهدده. وقد انقطع عن المستعين، وقد منعه بغا في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان، فسأل المستعين وصيفاً من أعمال إيتاخ وقلدها لباجر، فعذل وصيفاً في الشأن فحلف له أنه ما علم قصد الخليفة. وتنكر بغا لباجر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكل وجدد عليهم العهد في قتل المستعين وبغا ووصيف، وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الأمر لهم. ونما الخبر على الترك إلى المستعين فأحضر بغا ووصيفاً وأعلمهما بالخبر، فحلفا له على العلم وأمروا بحبس باغر ورجلين معه من الأتراك، فسخطوا ذلك، وثاروا فانتهبوا الإصطبل وحضروا الجوثق. وأمر بغا ووصيف وشاهك الخادم وكتبه أحمد بن صالح

بن شيرزاده، ونزل على محمد بن طاهر في بيته في المحرم سنة إحدى وخمسين، ولحق به القواد والكتاب والعمال وبنو هاشم، وت خلف جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ، فندم الأتراك وركب جماعة من قوادهم إلى المستعين وأصحابه ليردوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا في بيعة المعتز.

بيعة المعتز وحصار المستعين:

كان قواد الأتراك لما جاؤا إلى المستعين ببغداد يعتذرون من فعل ويتطارحون في الرضا عنهم والرجوع إلى دار مكة وهو يوبخهم ويعدد عليهم إحسانه وإساءتهم، ولم يزالوا به حتى صرح لهم بالرضا، فقال بعضهم: فإن كنت رضيت فقم واركب معنا إلى سامرا فكلمه ابن طاهر لسوء خطابهم، وضحك المستعين لُعْجَمَتِهِمْ وجهلهم بآداب الخطاب، وأمر باستمرار أرزاقهم ووعدهم بالرجوع، فانصرفوا حاقدين ما كان من ابن طاهر، وأخرجوا المعتز من محبسه وباعوا له بالخلافة، وأعطى للناس شهرين. وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال: قد خلعت نفسك! فقال أكرهت! فقال ما علمنا ذلك ولا مخلص لنا في إيماننا فتركه. وولوا على الشرطة إبراهيم البربرج وأضيفت له الكتابة والدواوين وبيت المال، وهرب عتاب بن عتاب من القواد إلى بغداد، وقام محمد بن عَبد الله بن طاهر بالاحتشاد، واستقدم مالك بن طوق في أهل بيته وجنده، وأمر حوبة بن قيس وهو على الأنبار- بالاحتشاد. وكتب إلى سليمان بن عمران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سامرا وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الأسوار والخنادق من الجانبين، وجعل على كل باب قائدا، ونصب على الأبواب المجانيق والعرادات، وشحن الأسوار بالرماة

والمقاتلة، وبلغت النفقة في ذلك ثلثمائة وثلاثين ألف دينار، وفوض للعيارين الرزق وأغدق عليهم، وأنفذ كتب المستعين إلى العمال بالنواحي تحمل الخراج إلى بغداد. وكتب المستعين إلى الأتراك يأمرهم بالرجوع عما فعلوا، وكتب المعتز إلى محمد يدعوهم إلى بيعته، وطالت المراجعات في ذلك، وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حمص، فاختلفت إليه وهو بالشام كتب المستعين والمعتز يدعوهم كل واحد منهما إلى نفسه، فاختار المعتز ورجع إليه، وهرب إليه عَبْدُ اللَّهِ بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه فقتله. وهرب الحسن بن الأفشين إلى بغداد فخلع عليه المستعين وضمَّ إليه الأشروسنة. ثم عقد المعتز لأخيه إلى أحمد الواثق عن حرب بغداد، وضمَّ إليه الجنود مع باكليال من قوادهم، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراغنة والمغاربة، وانتهبوا ما بين عكبرا وبغداد من القرى والضياع وخربوها، وهرب إليهم جماعة من أصحاب بغا الصغير ووصلوا إلى باب الشماسية. وولى المستعين على باب الشماسية الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب، وجعل القواد هنالك تحت يده، ووافقت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه وأمدّه ابن طاهر بالشاه بن ميكال وبيدار الطبري. ثم ركب محمد بن عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر من الغد ومعه بغا ووصيف والفقهاء والقضاة، وذلك عاشر صفر، وبعث إليهم يدعوهم إلى مراجعة الطاعة على المعتز ولي هذه فلم يجيبوا، فانصرفوا، وبعث إليه القواد من الغد بأنهم زحفوا إلى باب الشماسية فنهاهم عن مناداتهم بالقتال. وقدم ذلك اليوم عَبْدُ اللَّهِ بن سليمان خليفة بغا من مكة في ثلثمائة رجل. ثم جاء الأتراك من الغد فاقتتلوا مع القواد وانهزم القواد، وبلغ ابن طاهر أن جماعة من الأتراك ساروا نحو النهروان، فبعث قائداً من أصحابه إليهم فرجع منهزماً، واستولى الأتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد. ثم بعث المعتز عسكرياً آخر نحو أربعة آلاف فنزلوا في الجانب الغربي، وبعث ابن طاهر إليهم الشاه بن ميكال فهزمهم وأثنى فيهم، ورجع إلى بغداد فخلع عليه وسائر القواد أربع خلع وطوقاً وسواراً من ذهب لكل واحد. ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والحوانيت إلى باب الشماسية ليتسع المجال للحرب، وقدمت عليه أموال فارس والأهواز مع مكحول الأشروسي.

وخرج الأتراك الاعتراضه. وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به بغداد، ولم يظفر به الأتراك، ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر. وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد والياً على الثغور الجزرية، وأقام ينتظر الجند والمال، فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقة إلى بغداد، فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف لمحاربتهم، وصار إلى ضبيعة بالسواد فأقام بها. فقال ابن طاهر: لن يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به، ثم ذهب الأتراك وقاتلوا. واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهت الأسواق، وورد الخبر من الثغور بأن بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز فقال ابن طاهر: لعله ظن موت المستعين فكان كذلك، ووصل كتابه بأنه جدد البيعة. وكان موسى بن بغا مع الأتراك كما قد قدمنا فاراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره، وفر القطاعون من البصرة ورموا على الأتراك فأحرقوهم، فبعث ابن طاهر إلى المدائن ليحفظها وأمدّه بثلاثة آلاف فارس، وبعث إلى الأنبار حوبة بن قيس فشق الماء إلى خندقها من الفرات وجاء إلى الإسحاقى من قبل المعتز، فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر وملك الأنبار. ورجع حوبة إلى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن إسماعيل في جماعة من القواد والجند، فاعترضه الأتراك وحاربوه وعاد إلى الأنبار، وتقدم هو لينزل عليهما، وبينما هو يحط الأثقال إذا بالأتراك فقاتلهم وهزمهم وأثنى فيهم، وكانوا قد كمنوا له فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات. وأخذ الأتراك عسكره ووصل إلى الياسرية آخر جمادى الآخرة، ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد، وتوعدهم على الرجوع إليه. وأمدّه بجند آخر فدخل من الياسرية، وبعث على المخاض الحسين بن علي بن يحيى الأرميني في مائتي مقاتل ليمنع الأتراك من العبور إليه من عدوة الفرات، فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه، وركب الحسين في زورق منحدرًا، وترك عسكره وأثقاله فاستولى عليها الأتراك، ووصل المنهزمون إلى بغداد من ليلتهم. ولحق من عسكره جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم علي ومحمد ابنا الواثق، وذلك أول رجب. ثم كانت بينهم عدة وقعات، وقتل من الفريقين خلق، ودخل الأتراك في كثير من الأيام بغداد وأخرجوا عنها. ثم ساروا إلى المدائن وغلبوا طيها ابن أبي السفاح وملكوها. وجاء الأتراك الذين بالأنبار إلى الجانب الغربي، وانتهوا إلى

صرصر وقصر ابن هبيرة، واتصل الحصار إلى شهر ذي القعدة، وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القواد والعساكر، فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق، وارتقم الذين كانوا مع بغا ووصيف لذلك فلحقوا بالأتراك. ثم تراجع الأتراك وانهزم أهل بغداد. ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس أخو الأفشين ساعياً في الصلح بين الفريقين، واتهم الناس ابن طاهر بالسعي في خلع المستعين، فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه أبي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر، وعمدوا إلى دار رشيد ليهدموها، وسأل ابن طاهر من المستعين أن يسكنهم فخرج إليهم ونهاهم وبرا ابن طاهر مما اتهموه به فانصرفوا، وترددت الرسل بين ابن طاهر وبين أبي أحمد فتجدد للعامة والجند سوء الظن. وطلب الجند أرزاقهم فوعدهم بشهرين، وأمرهم بالنزول فأبوا إلا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين. وخاف أن يدخلوا الأتراك كما عمل أهل المدائن والأنبار، فأصعد المستعين على سطح دار العامة حتى رآه الناس وببده البردة والقضيب، وأقسم عليهم فانصرفوا. واعتزم ابن طاهر على التحول إلى المدائن، فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالغوغاء فأقصروا بنقل المستعين عن دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم بالرصافة. وأمر القواد وبنى هاشم بالكون مع ابن طاهر، فركب في تعبئة وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الإصلاح فدعوا له، وسار إلى المستعين وأغراه به، وأمر بغا ووصيفاً بقتله فلم يفعلوا. وجاءه أحمد بن إسرائيل والحسين بن مخلد بمثل ذلك في المستعين، فتغير له ابن طاهر. فلما كان يوم الأضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بإمضاء الصلح، فأجاب وخرج إلى باب الشماسية، فجلس هناك ابن طاهر إلى المستعين وأخبره بأنه عقد الأمر إلى أن يخلع نفسه، وبيتدلو له خمسين ألف دينار، ويعطوه غلة ثلاثين ألف دينار، ويقيم بالحجاز متردداً بين الحرمين، ويكون بغا والياً على الحجاز، ووصيف على الجبل، ويكون ثلث الجاية لابن طاهر، وجند بغداد والثلثان للموالي والأتراك. فامتنع المستعين أولاً من الخلع ظناً منه أن وصيفاً وبغا معه. ثم تبين موافقتهما عليه، فأجاب وكتب بما أراد من الشروط، وأدخل الفقهاء، والقضاة وأشهدهم بأنه قد صير أمره إلى ابن طاهر. ثم أحضر القواد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الإصلاح إلا حقن الدماء، وأخرجهم إلى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على إقراره، فجاءوا بذلك لست خلون من المحرم سنة إثنين وخمسين ومائتين.

خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك:

ولما تم ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتز على كتاب الشروط أخذ البيعة للمعتز على أهل بغداد، وخطب له بها وباع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك، فنقله من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله، وأخذ البردة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج إلى مكة، فطلب البصرة فمنع منها، وبعث إلى واسط. فاستوزر المعتز أحمد بن أبي إسرائيل، ورجع أخوه أبو أحمد إلى سامرا. وفي آخر المحرم انصرف أبو الساج دبواز بن درموسب إلى بغداد، فقلده ابن طاهر معاون السواد، فبعث معه مؤنة إليها لطرده الأتراك والمغاربة عنها، وسار هو إلى الكوفة. ثم كتب المعتز إلى ابن طاهر بإسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين، وكان محمد أبو عون من قواد ابن طاهر قد تكفل لأبي إسحق بقتلهم، وعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة. ونمي الخبر إليهما بذلك فركبا إلى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن القوم قد نقضوا العهد. ثم بعث وصيف أخته سعاد إلى المؤيد، وكان في حجرها فاستوهبت له الرضا من المعتز، وكذا فعل أبو أحمد مع بغا، وكتب لهم المعتز جميعاً بالرضا. ثم رغب الأتراك في إحضارهما بسامرا، فكتب بذلك ودس إلى ابن طاهر بمنعهما فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما. وحضرا بسامرا فعقد إليهما المعتز على أعمالهما، ورد البريد إلى موسى بن بغا الكبير. ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان، جاؤا إليه يطلبون أرزاقهم قال: كتبت إلى أمير المؤمنين في ذلك فكتب إلي إن كنت تريد لجند لنفسك فأعطهم، وإن كان لنا فلا حاجة لنا فيهم. فشغبوا ففرق فيهم ألفي دينار فسكنوا. ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا الخيام باب الشماسية وبنوا البيوت من الأعواد والقصب. وجمع محمد بن إبراهيم أصحابه وشحن داره بالرجال، وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فقعده واعتذر بالمرض، فخرجوا إلى الجسر ليقطعوه فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه. ثم دفعوا أصحاب ابن طاهر بإعانة أهل الجانب الشرقي، وجاء العامة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر بإحراق الحوانيت إلى باب الجسر، ومات أصحاب تعبئة الحرب وجاء من دله على عورة الجند، فسرح الشاه

ابن ميكال وعرض القواد فسار إلى ناحيتهم، وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل .

وحمل رئيسهم الآخر ابن القاسم عبدون بن الموفق إلى ابن طاهر ومات في خلال ذلك. وأخرج المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد، وذلك أن العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث إلى المؤيد بخمسة آلاف دينار، فأخذها عيسى بن فرخان شاه، فأغرى المؤيد بعيسى الأتراك والمغاربة، فبعث المعتز إلى المؤيد وأبي أحمد فحبسهما وقيد المؤيد، فأخذ خطه بخلع نفسه، ثم نمي إليه أن الأتراك يرومون إخراجهم من الحيس، فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك، وأخرج المؤيد من الغد ميتاً ودفنته أمه، فيقال غطى على أنفه فمات، وقيل أقعد في الثلج ووضع على رأسه. ثم نقل أخوه ابن أحمد إلى مجلسه. ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين، فكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسلمه إلى سيما الخادم، وكتب محمد في ذلك إلى الموكلين به بواسطة، يقال بل أرسل بذلك أحمد بن طولون، فسار به في القاطون وسلمه إلى سعيد بن صالح، فضربه سعيد حتى مات، وقيل ألقاه في دجلة بحجر في رجله، وكانت معه دابته فقتلت معه وحمل رأسه إلى المعتز فأمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة. ثم وقعت فتنة بين الأتراك والمغاربة مستهل رجب، بسبب أن الأتراك وثبوا بعيسى بن فرخان شاه فضربوه وأخذوا دابته لَمَّا أمرهم المؤيد، فامتعضت المغاربة له ونكروا على الأتراك وغلبوهم على الجوسق، وأخذوا دوابهم وركبوها وملكوا بيت المال. واستجاش الأتراك بمن كان منهم في الكرخ والدور، وانضم الغوغاء والشاكرية إلى المغاربة، فضعفت الأتراك عن لقاءهم وسعى بينهم جعفر بن عبد الواحد في الصلح، فتوادعوا أياماً. ثم اجتمع الأتراك على حين افتراق المغاربة، فقصده محمد بن راشد ونصر بن سعيد منزل محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الهيعة، فدرس للأتراك بخبرهما وجاؤا فقتلوهما في منزله وبلغ ذلك المعتز فهم بقتل ابن عون ثم نفاه.

أخبار مساور الخارجي:

كان الوالي على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن هانئ الخزاعي وكان صاحب الشرطة بالحديثة من أعمالها حسين بن بكير، وكان مساور

ابن عَبدُ الله بن مساور البجلي من الخوارج يسكن بالبواريج. وحبس صاحب الشرطة حسين بن بكير بالحديثة ابناً للمساور هذا يسمى جوثرة وكان جميلاً، فكتب إلى أبيه مساور بأن حسين بن بكير نال منه الفاحشة، فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة، فاخفى حسين وأخرج ابنه من الحبس. ثم كثر جمعه من الأكراد والأعراب، وقصد الموصل فقاتلها أياماً، ثم رجع فكان تحت طريق خراسان، وكانت لنظر بندار ومظفر بن مشبك فسار إليه بندار في ثلثمائة مقاتل، والخوارج مع مساور في سبعمائة فهزموه وقتلوه، ولم ينج منهم إلا نحو خمسين رجلاً، وفر مظفر إلى بغداد. وجاء الخوارج إلى جلولاء، وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق. ثم سار خطر مش في العساكر فلقبهم بجلولاء، وهزمه مساور. ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل، ثم ولي الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي سنة أربع وخمسين، فاستخلف عليها ابنه الحسن، فجمع عسكرياً كان فيهم حمدون بن الحرث بن لقمان جد الأمراء من بني حمدان، ومحمد بن عبد الله بن السيد بن أنس، وسار إلى مساور وعبر إليه نهر المزاب، فتأخر عن موضعه. وسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل، وقتل محمد بن السيد الأزدي، ونجا الحسن بن أيوب إلى أعمال إربل. ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين خلع المعتز وبوع للمهتدي، وولي على الموصل عبد الله بن سليمان. فزحف إليه مساور، وخام عبد الله عن لقاءه، فملك مساور البلد، وأقام بها جمعة وصلى وخطب، ثم خرج منها إلى الحديثة وكانت دار هجرته. ثم انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زهير العمر بسبب الخلاف في توبة الخاطيء. وقال عبيدة لا تقبل واجتمع معه جماعة، وخرج إليهم مساور من الحديثة واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم قتل عبيدة وانهزم أصحابه. وخرج إليه آخر من بني زهير اسمه طوق، فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي جمعاً كثيراً وجاربه فقاتله سنة خمس أو سبع، واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الأموال، فسار إليه موسى بن بغا بابكيال في العساكر فانتهوا إلى [*]

وبلغهم خبر الأتراك مع المهدي فأقاموا ثم زحفوا بخلع المهدي، فلما ولي المعتمد سير مفلحاً إلى، قتال مساور في عسكر كبير، وخرج مساور عن الحديثة إلى جبلين حذاءها وقاتله مفلح في اتباعه، ولحق الجبل فاعتصم به وأقام مفلح في حصاره، فكانت بينهما وقعات، وكثرت الجراحة في أصحاب مساور من لدن. حربه مع عبيدة إلى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار إلى الموصل ثم إلى ديار ربيعة وسنجان ونصيبين والخابور، فأصلح أمورها وخرج من الموصل إلى الحديثة ففارقها عنه، فرجع مساور في اتباعهم يتخطف من أعقابهم ويقاتلهم حتى وصل الحديثة، فأقام بها أياماً، ثم سار إلى بغداد في رمضان سنة ست وخمسين، فرجع مساور إلى الحديثة واستولى على البلاد واشتدت شوكته، ثم أوقع به مسرور البلخي سنة ثمان وخمسين، وجهز العسكر بالحديثة مع جعلان من قواد الترك. ثم قتل سنة إحدى وستين يحيى بن جعفر من ولاة خراسان، وسار مسرور في طلبه وتبعه الموفق فلم يدركاه.

مقتل وصيف ثم بغا:

وفي سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز اجتمع الجند من الأتراك والفراغة والأشروسية فطلبوا أرزاقهم منهم لأربعة أشهر وشغبوا، فخرج إليهم بغا ورصيف وسيما الطويل، وكلمهم وصيف واعتذر بعدم المال وقال: خذوا الزاب في أرزاقكم. ونزلوا بدار أشناس يتناظرون في ذلك، ومضى بغا وسيما إلى المعتز يسألانه في أمرهم، وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه. ثم انقادوا وأهدر لهم ذلك، وجعل المعتز لبغا الشرابي ما كان لوصيف، وألبسه التاج والوشاحين، ثم تغير له المعتز لما عليه من الاستبداد على الدولة، وخشي غائلته ومال باطناً إلى بابكيال وداخله في أمره واعتده لذلك، ثم زوج بغا إبنته أمنة من صالح بن وصيف وشغل بجهازها، فركب المعتز في تلك الغفلة ومعه حمدان بن إسرائيل إلى بابكيال في كرخ سامرا، وكانت بينه وبين بغا وحشة شديدة، وبلغ ذلك بغا فركب في خمسمائة من غلمانته وولده وقواده، وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسن، وأقام المعتز على وجل لا ينام إلا بسلاحه. ثم تعلل أصحاب بغا عليه فأعرض عنهم وركب البحر راجعاً إلى بغداد، وجاء الجسر ليلاً لئلا يفطن به الموكلون هنالك، وبعثوا إلى المعتز

بخبره، فأمر بقتله وحمل إليه رأسه، ونصب بسامرا وأحرقت المغاربة شلوه، وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز.

ابتداء دولة الصفار

كان يعقوب بن الليث بن عمرو الصفار بسجستان، وكان صالح بن النضر الكناني

من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج، وسمى أصحابه المتطوعة، حتى قيل له صالح المطووع، وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان. وهلك صالح إثر ذلك، وقام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن فكثرت أتباعه. وكان يعقوب بن الليث شهماً وكان درهم مضعفاً، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد، فاجتمعت المتطوعة على يعقوب بن الليث، وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثنى فيهم وخرب قراهم، وكانت له شربة في أصحابه لم تكن لأحد قبله، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهراً طاعة الخليفة وكتبه وقلده حرب السراة، فأحسن الغناء فيه وتجاوزته إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم سار من سجستان إلى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر، وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الأنباري، فجمع لمحاربة يعقوب وسار إليهم في التعبئة، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف- وكان المعتز قد كتب بولاية سجستان، فكتب له الآن بولاية كرمان، وكان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الخراج. واعتذر، فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد إعداء كل منهما بصاحبه لأن طاعتهما مهوضة، فأرسل عليّ

ابن الحسين بفارس طوق بن الغلس خليفة علي كرمان، وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها، وأقام يعقوب بمكانه قريباً منها يترقب خروج طوق إليه. وبعد شهرين ارتحل إلى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بـيعقوب في طريقه، فكر راجعاً وأغذ السير فصادفه بعد يومين، وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففروا ناجين بأنفسهم، وملك يعقوب كرمان وحبس طوق. وبلغ الخبر إلى علي بن الحسين وهو على شيراز، فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالة، والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما، فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا، وأخذ علي أسيراً، واستولى على جميع عسكره، ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج ورجع إلى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين. ويقال يل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها علي، وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالى والأكراد، ورجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الأبواب، وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا إلى الأهواز وبلغ القتل منهم خمسة آلاف، ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بردة، ومن الفرش وال سلاح والآلة ما لا يحصى، وكتب إلى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع إلى سجستان، ثم استعاد الخليفة بعد ذلك فارس وبعث عماله إليها.

ابتداء دولة ابن طولون بمصر:

كان بابكيال من أكابر قواد الأتراك مع بغا ووصيف وسيما الطويل، ولما حدثت هذه الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الأعمال والنواحي في إقطاعهم، فأقطع المعتر بابكيال هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدير، وكان بابكيال مقيماً بالحفيدة فنظر فيمن يستخلفه عليها، وكان أحمد بن طولون من أبناء الأتراك وأبوه من سبي فرغانة ورّبي في دار الخلفاء، ونشأ ابنه أحمد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله، وأشير عليه بتوليته فبعثه على مصر فاستولى عليها أولاً دون أعمالها والإسكندرية. ثم قتل المعتر بابكيال وصارت مصر في إقطاع بارجوع الترك، وكان بينه وبين أحمد بن طولون

موّدة متأكّدة، فكتب إليه واستخلفه على مصر جميعها، ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثاً لابنيه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة.

استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد:

قد تقدّم لنا أن محمد بن عبّاد الله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد، وكانت لهم الشرطة وغيرها، وكان مقيماً ببغداد، وكان في المدافعة عن المستعنيين لمّا لجأ إليه. ثم صلح ما بينه وبين المعتز، واستقل المعتز بالخلافة والآثار المذكورة. ثم هلك آخر سنة ثلاث وثمانين أيام المعتز وفوض ما كان بيده من الولاية إلى أخيه عبّاد الله، نازعه ابنه طاهر في الصلاة عليه ومالت العامّة مع أصحاب طاهر، والقواد مع عبّاد الله لوصية أخيه. ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه، وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم. ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبّاد الله بن طاهر من خراسان، وولاه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد، وعزل أخاهما عبّاد الله. فلما علم عبّاد الله تقدم سليمان أخذ ما في بيت المال وانتقل إلى غربيّ دجلة، وجاء سليمان وقائده محمد ابن أوس ومعه جند من خراسان، فأسأوا السيرة في أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقي في بيت المال، وقدمهم على جند بغداد وشاكرهم، فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون، وعبر ابن أوس إلى الجزيرة واتبعه الجند والعامّة، فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب الشماسية، ونهب من منزله قيمة ألفي ألف درهم، ومن الأمتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده. ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمره بالخروج إلى خراسان، ثم كانت الفتنة في خلع المعتز وولاية المهدي كما يذكر، وبعث المهدي سُلخ رجب من سنة خمس وخمسين إلى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد، وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعثه إليها المعتز، فنقله سليمان إلى داره ووثب الجند والعامّة لذلك واجتمعوا بباب سليمان، وقتلهم أصحابه ملياً، ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا إلى بيعة أبي أحمد، وطلبوا رؤيته فأظهره لهم ووعدهم بما طلبوا، فافترقوا ووكل بحفظ أبي أحمد ثم بايع للمهدي في شعبان من تلك السنة.

خبر كرخ أصبهان وأبي دلف:

قد تقدّم لنا شان أبي دلف أيام المأمون وأنه كان مقيماً بكرخه، وأن المأمون عفا له عما وقع منه في القعود عن نصره، وأقام بتلك الناحية وهلك، فقام ابنه عبّد العزيز مكانه. ولما كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين، وولى وصيف على الجبل وأصبهان، فكتب إلى عبّد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع، وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير في شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل وأصبهان، فسار لذلك وفي مقدمته مفلح، فلقيه عبّد العزيز بن أبي دلف في عشرين ألفاً خارج همذان، فتحاربوا وانهزم عبّد العزيز وقتل أصحابه. وسار مفلح إلى الكرخ، فخرج إليه عبّد العزيز وقاتله ثانية، فانهزم واستولى مفلح على الكرخ. ومضى عبّد العزيز إلى قلعة نهاوند، فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وأمّه. ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على أعمال الجبل، ثم عقد لموسى بن بغا، فسار وفي مقدمته مفلح، فقاتله عبّد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله. ثم ملك عبّد العزيز وقام مكانه ابنه دلف، وقاتله القاسم بن صبهان من أهالي أصبهان. ثم قتل القاسم أصحاب أبي دلف وولوا أخاه أحمد بن عبّد العزيز سنة خمس وستين. وولاه عمر الصفار من قبله على أصبهان عندما ولاه عليها المعتمد سنة ست وستين، وحاربه كغليغ التركي سنة تسع وستين، فغلبه أحمد وأخرجه إلى الصميرة، وبعث إليه عمر سنة ثمان وستين في المال فبعث إليه. ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحمد بأصبهان، فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها لنزول الموفق. ثم مات أحمد سنة ثمانين وولى أخوه عمر وأخوه بكير يرادفه، وقاتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمهما كما يأتي ذكره. ثم قلد المعتضد أصبهان ونهاوند والكرخ عمر بن عبّد العزيز سنة إحدى وثمانين ثم راجعا الطاعة.

خلع المعتز وموته وبيعة المهتدي:

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلباً على المعتز وكان كاتبه أحمد بن إسرائيل، وكانت أمّه قبيحة ووزيرها الحسن بن مخلد. وكان أبو نوح عيسى بن إبراهيم من كبار الكتّاب وجباة الأموال. وطلب الأتراك أرزاقهم وشغبوا، فقال صالح للمعتز: هذه الأموال قد ذهب بها الكتّاب والوزراء، وليس في بيت المال شيء، فردّ عليه

أحمد بن إسرائيل وأفحش في ردّه، وتفاوضا في الكلام فسقط صالح مغشياً عليه، وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتضين سيوفهم فدخل إلى قصره، فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيّدوا، وشفع المعتز في أمر وزيره فلم تقبل شفاعته، وصادرهم على مال جليل حملوه فلم يسدّ شيئاً، فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا من المصادرة اتّهم الجند أنهم حملوا على مال ولم يكن ذلك، فشفّعوا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفاً يبذلها لهم. وسألها من أمّه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعه. ودخل إليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال وطلبوه في الخروج إليهم، فاعذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا، وجروّوه إلى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار، وكلما مرّ به أحد منهم لطمه. ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فاشهدهم على خلعه، وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمّه وأخته وولده. وفرت أمه قبيحة من سرب كانت اتخذته بالدار، ثم عذبوا المعتز ثم جعلوه في سرب وطمّوا عليه، وأشهدوا على موته بني هاشم والقواد، وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين، وبايعوا لمحمد ابن عمه الواثق، ولقبّوه المهتدي بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقر بالعجز والرغبة في تسليمها إلى المهتدي بايعه الخاصة والعامة. وكانت قبيحة أم المعتز لمّا فعل صالح بالكتاب ما فعل قد [*] ، نفرأ منهم على الفتك بصالح، ونمي ذلك إليه، فجمع الأتراك على الثوران، وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت ما في الخزائن من الأموال والجواهر، وحفرت سرباً في حجرتها هربت منه لمّا احيط بالمعتز، ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت إلى صالح تستأمنه فأحضرها في رمضان وظفر منها بخمسمائة ألف دينار، وعذبها على خزائن تحت الارض فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم ير مثله، ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الأحمر القليل النظير، وذمها الناس بأنها عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال، ثم سارت إلى مكة فأقامت هنالك، وقبض صالح على أحمد بن إسرائيل وزيد بن المعتز وعذبه وصادره. ثم قبض على

أبي نوح وفعل به مثله وقبض على الحسن بن مخلد كذلك ولم يمت. وبلغ المهدي ذلك فنكره وقال: كان الحبس كافياً في العقوبة. ولأول ولاية المهدي أخرج القيمان والمغنين من سامرا ونفاهم عنها، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب ورد المظالم وجلس للعامّة، وكانت الفتن قائمة، والدولة مضطربة، فشمر لإصلاحها لو أمهل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة.

مسير موسى بن بغا إلى سامرا ومقتل صالح بن وصيف:

كان موسى بن بغا غائباً بنواحي الري وأصبهان منذ ولاية المعتز عليها سنة ثلاث وخمسين، ومعه مفلح غلام أبي الساج، وكانت قبيحة أم المعتز لَمَّا رأت اضطراب أموره كتبت إلى موسى قبل أن يفوت في المعتز أمره، فجاءه كتابها، وقد بعث مفلحاً لحرب الحسن بن زيد العلوي فحربه بطبرستان فغلبه، وأحرق قصوره بآمد وخرج في اتباعه إلى الديلم، فكتب إلى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو في استقدامه وانتظاره قتل المعتز وبويع المهدي، وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتابه وأمه، فشرهوا إلى مثل ذلك، وأغروا موسى بالمسير إلى سامرا، ورجع مفلح من بلاد الديلم إليه وهو بالري، فسار نحو سامرا، وسمع المهدي بذلك فكتب إليه بالمقام يحذره على ما وراءه من العلويين فلم يصغ لذلك، وأفحش أصحابه في إساءة الرسل الواصلين بالكتب. فكتب بالاعتذار واحتج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه أن عادوا إلى الري وصالح بن وصيف في خلال ذلك يغري به المهدي وينسبه إلى المعصية والخلاف، إلى أن قدم في المحرم سنة ست وخمسين ودخل في التبعية، فاختمى صالح بن وصيف، ومضى موسى إلى الجوسق والمهدي جالس للمظالم. فأعرض له عن الإذن ساعة ارتاب فيها هو وأصحابه، وظنوا أنه ينتظر تدوم صالح بالعساكر. ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهدي وأودعوه دار باجورة، وانتهبوا ما كان في الجوسق. واستغاث المهدي بموسى فعطف عليه ثم

أخذ عليه العهود والأيمان أن لا يوالي صالحا، وأن باطنه وظاهره في موالاتهم سواء فجددوا له البيعة واستبد موسى بالأمر، وبعث إلى صالح للمطالبة بما احتجبه من الأموال فلم يوقف له على أثر، وأخذوا في البحث عنه. وفي آخر المحرم أحضر المهدي كتابا رفعه إليه سيما الشرابي زعم أن امرأة دفعت له إليه وغابت فلم يرها، وحضر القواد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح بذكر ما صار إليه من الأموال، وأنه إنما استتر خشية على نفسه وحسما للفتنة وإبقاء على الموالي. ولما قرأ الكتاب حثهم المهدي على الصلح والاتفاق، فاتهمه الأتراك بالميل إلى صالح وأنه مطلع على مكانه، وطال الكلام بينهم بذلك. ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهدي، إلا أخا بابكيال فإنه أبى من ذلك وتهددهم بأنه مفارقهم إلى خراسان، واتصل الخبر بالمهدي فاستدعاه إليه، وقد نظف ثيابه وتطيب وتقلد سيفه فأرعد وأبرق، تهددهم بالاستماتة، ثم حلف لا يعلم مكان صالح، وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح في أمر المعتز وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه في ذلك كله. وانتشر الخبر في العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعه، فطفقوا يحاذرون على الدعاء في المساجد والطرقات ويبغون على القواد بغيتهم على الخليفة، ويرمون الرقاع بذلك في الطرقات. ثم إن الموالي بالكرخ والدور دسوا إلى المهدي أن يبعثوا إليه أخاه أبا القاسم عبد الله بعد أن ركبوا وتحركوا، فقالوا لأبي القاسم: بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة للخليفة فيما يريد، وشكوا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صاروا من الاقطاع والزيادات إلى قوادهم وما أخذته النساء والدخلاء حتى أصبح ذلك كله بالخراج والضياح، وكتبوا بذلك إلى المهدي. فأجابهم بالثناء على التشيع له والطاعة، والوعد الجميل في الرزق، والنظر الجميل في شأن الاقطاعات للقواد والنساء، فأفاضوا في الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الحجر والاستبداد عليه، وأن ترجع الرسوم على عاداتها أيام المستعين على كل عشرة عريف، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط النساء والزيادة في الاقطاع، ويوضع العطاء في كل شهرين، وكتبوا بذلك إلى المهدي وأنهم صائرون إلى بابه ليقضي حوائجهم، وإن أحد اعترض عليه أخذوا رأسه وإن تعرض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وماجور. فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهدي للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقواد قائمون في مراتبهم، فقرأ كتابهم على

القوَّاد فاضطربوا وكتب جوابهم بما سألوا، وطلب أبو القاسم من القواد أن يبعثوا معه رسولا بالعدر عنهم ففعلوا، ومضى أبو القاسم إليهم بكتاب الكتاب وبرسل القوَّاد وأعدارهم. فكتبوا إلى المهدي يطلبون التوقيعات بحط الزبادات ورد الإقطاعات وإخراج الموالي البرانيين من الخاصة، وردَّ الرسوم إلى عاداتها أيام المستعين، ومحاسبة موسى بن بغا وصالح بن وصيف على ما عندهم من الأموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف النظر في الجيش إلى بعض أخوته أو قرابته وإخراجه من الموالي، وكتبوا بذلك إلى المهدي والقواد فأجابهم إلى جميع ما سألوه. وكتب إليهم موسى بن بغا بالإجابة في شأن صالح والإذن في ظهوره فقرأوا الكتابين وعدوا بالجواب، فركب إليهم أبو القاسم واتبعه موسى في ألف وخمسمائة فوقف في طريقهم، وجاءهم أبو القاسم فاضطربوا في الجواب ولم يتفقوا فرجع ورد موسى بن بغا فأمرهم المهدي بالرجوع وأن يتقدم إليهم محمد بن بغا مع أبي القاسم، وبدفعوا إليهم كتاب الأمان لصالح بن وصيف، وقد كان من طلبتهم أن يكون موسى في مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش في يده، وأن يظهر على الأمان فأجابوا إلى ذلك. وافترق الناس إلى الكرخ والدور وسامرا، فلما كان من الغد ركب بنو وصيف في جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبي القاسم يطلبون صالحا، فأنكر المهدي أن يكون علم بمكانه، وقال: إن كان عندهم فليظهروه. ثم ركب ابن بغا في القواد ومعه أربعة آلاف فارس وعسكر، وافترق الأتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لأهل الدور وسامرا في هذا اليوم حركة. وجدَّ موسى في طلب صالح ونادى عليه وعثر عليه بعض الغوغاء فجاء به إلى الجوسق والعامة في اتباعه فضربه بعض أصحاب مفلح فقتله، وطيف برأسه على قناة وخرج موسى بن بغا لقتال السراة بناحية السن.

الصوائف

منذ ولاية المنتصر إلى آخر أيام المهدي

في سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد بن عمر الشرايبي وحكم، فسرح المنتصر إسحق بن ثابت الفرغاني فأسره في عدة من أصحابه وقتلوا وصلبوا. وفي هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المنتصر بالمقام بملطية أربع سنين يغزو في أوقات الغزو إلى أن يأتيه رأي، وكان مقيماً بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية. وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار، فافتتح مطامير واستأذنه

عمر بن عَبْدَ اللهِ الأقطع في الدخول إلى بلاد الروم فأذن له، فدخل في جموع من أهل ملطية، ولقي ملك الروم بمرج الأسقف في خمسين ألفاً فأحاطوا به، وقيل في الفين من المسلمين، وخرج الروم إلى الثغور الخزرية فاستباحوها، وبلغ ذلك عليّ بن يحيى الأرمني وقد كان صرف عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان. فلما سمع بخبرهم نفر إليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في أربعمئة من المسلمين، وفي سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر.

الولاية:

لَمَّا ولى المنتصر استوزر أحمد بن الخصيب، وولّى على المظالم أبا عمر أحمد بن سعيد مولى بني هاشم. ثم ولي المستعين ومات طاهر بن عَبْدَ اللهِ بخراسان، فولّى المستعين مكانه ابنه محمداً وولّى محمد بن عَبْدَ اللهِ على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد، واستخلف أخاه سليمان بن عَبْدَ اللهِ على طبرستان. وتوفي بغا الكبير فولّى ابنه موسى على أعماله، وضاف إليه ديوان البريد، وشغب أهل حمص على عاملهم وأخرجوه، فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقاً وحمل مائة من أعيانهم إلى سامرا. واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الخصيب، واستصفى بقى إلى أقریطش، وعقد لأتامش على مصر والمغرب، ولبغا الشرابي على حلوان وماسبذان ومهرجا بعده. ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عَبْدَ اللهِ بن محمد بن داود، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخان شاه، وولّى وصيفاً على الأهواز وبغا الصغير على فلسطين، ثم غضب بغا على أبي صالح ففرّ إلى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، وولّى ديوان الرسائل سعيد بن حميد وعزل جعفر بن عَبْدَ الواحد عن القضاء ونفاه إلى البصرة، وولّى جعفر بن محمد بن عمار البرجمي، وفي خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بساسان على مكة، ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فسرح إليهم المستعين موسى بن بغا وجاربه فهزمهم، وافتتحت حمص وأُخِنَ فيهم وأحرقها. وفيها وثب الشاكربة والجند بفارس بعبد الله بن إسحق فانتهبوا منزله، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن، وهرب عَبْدَ اللهِ بن إسحق وفيها كان ظهور العلوية بنواحي طبرستان. وفي سنة إحدى

وخمسين عقد المعتز لبغا ووصيف على أعمالها، وردّ البريد إلى موسى بن بغا الكبير، وعقد محمد بن طاهر لأبي الساج وقدم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا، وأظهر أنه إنما جاء لحرب الأعراب وتلطف لأبي أحمد حتى خالطه وقيده وبعث إلى بغداد في سنة إثنين وخمسين. وولى المعتز الحسين بن أبي الشوارب على القضاء، وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر أبا الساج عن طريق مكة وعقد المعتز لعيسى الشيخ بن السليل الشيباني من ولد جساس بن مرة على الرملة فاستولى على فلسطين وعلى دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يحمل من الشام. وكان إبراهيم بن المدبر على مصر فبعث إلى بغداد من المال بسبعمئة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها، وطولب بالمال فقال: الفتنة على الجند ! فولاه المعتمد على أرمينية يقيم بها دعواه. وبث المعتمد إلى الشام ماجور على دمشق وأعمالها، وبلغ الخبر إلى عيسى فبعث ابنه منصوراً في عشرين ألف مقاتل فانهزم وقتل، وسار عيسى إلى أرمينية على طريق الساحل. وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبي دلف العجلي على أعمال الجبل. وفي سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل، فساروا في مقدمته مفلح مولى بني الساج، وقاتله عبد العزيز بن أبي دلف فانهزم ولجأ إلى قلعة لهاذر، ومملك مفلح الكرخ وأخذ أهله وعياله، وفيها مات ابن عبد الله بن طاهر ببغداد وولى أخوه عبيد الله بعده. ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاه مكانه وكان على الموصل سليمان بن عمران الأزدي، وكانت بينه وبين الأزدي حروب بنوحي الموصل. وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر. وفيها يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراة، وكان ابتداء دولته، وولى بابكيال أحمد بن طولون على بر مصر من قبله فكان ابتداء دولته. ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين ليارجوج فولى عليها أحمد بن طولون من قبله، وفي سنة خمس وخمسين أيام المهدي استولى مساور الخارجي على الموصل وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فتنته.

أخبار أصحاب الزنج وابتداء فتنته:

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم وما بعده أكثرهم

من

الزيدية، وكان من أئمتهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة، ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه علي بن محمد بن الحسين، فقتل بغدك، ولأيام من قتله خرج رجل بالري يدعي أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهدي. ولما ملك البصرة لقي علياً هذا حياً معروف النسب، فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور. ونسبه المسعودي إلى طاهر بن الحسين، وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي، لأن ابن حزم قال في الحسين السبط إنه لا عقب له إلا من علي بن الحسين، وقال فيه علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر. وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحققين أنه من عبد القيس، واسمه علي بن عبد الرحيم من قرية من قرى الري، ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثه نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب، ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج، ولا يكون ذلك من أهل البيت. وسياقة خبره أنه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر ومدحهم. ثم شخص من سامرا إلى البحرين سنة تسع وأربعين أدي أنه من ولد العباس بن أبي طالب، ثم من ولد الحسين بن عبد الله بن العباس، ودعا الناس إلى طاعته فأتبعه كثير من أهل حجر وغيرها، وقتلوا أصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته، فتحول عنهم إلى الإحساء ونزل على بني الشماس من سعد بن تميم، وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق وسليمان بن جامع فكانا قائدين له، وقاتل أهل البحرين فانهزم وافترقت العرب عنه واتبعه علي بن أبان وسار إلى البصرة ونزل في بني ضبيعة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء، والفتنة فيها بين البلالية والسعدية، وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجته وجماعة من أصحابه، فسار إلى بغداد وأقام بها حولاً وانتسب إلى محمد بن أبي أحمد بن عيسى كما قلناه، واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحاني من ولد زيد بن صوحان، ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن، وسفي مسروقاً حمزة وكناه أبا أحمد، وسمي رفيقاً جعفرأ وكناه أبا الفضل. ثم وثب رؤساء البلالية والسعدية بالبصرة وأخرجوا العامل محمد بن رجاء، فبلغه ذلك وهو ببغداد، وأن أهله خلعه، فرجع إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومسروق ورفيق، فنزل بقصر القرش

ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبهم في الإحسان، وحلف لهم وكتب لهم في خرقة: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم} الآية. واتخذها راية، وجاءه موالي الزنوج في عبيدهم، فأمر كل عبْد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم، ولم يزل هذا رأيهم والزنوج في متابعتهم والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغبهم. ثم عبر دُجَيْلاً إلى نهر ميمون، فأخرج عند الحميري وملكه وسار إلى الأيلة وبها ابن أبي عون، فخرج إليه في أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم. ثم سار إلى القادسية فنهبها وكثر سلاحهم، وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله، فبعث إليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل، فهزمهم وأخذ سلاحهم. ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى، وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منهما، وكانت معهما سفن ألقتها الريح إلى الشط فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده. وجاء أبو هلال من قواده الأتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقية على نهر الریان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه. ثم خرج أبو منصور أحد موالي الهاشميين في عسكر عظيم من المطوعة البلالية والسعدية فسرح للقائهم علي بن أبان، فلقى طائفة منهم فهزمهم. ثم أرسل طائفة أخرى إلى مرفأ السفن وفيه نحو من ألفي سفينة، فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءه عساكر أبي منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل، وعليهم على بن أبي أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم. ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب. ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم. ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج إليه أهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برا وبحرا فلقبهم بالسُد وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل. ووهن أهل البصرة وكتبوا إلى الخليفة فبعث إليهم جعلان التركي مدداً، وولى على الأبلّة أبا الأحوص الباهلي وأمه بجند من الأتراك. وقد بث صاحب الزنج أصحابه يميناً وشمالاً للغارة والنهب. ولما وصل جعلان إلى البصرة نزل على فرسخ منهم وخذق عليه، وأقام ستة أشهر يسرح لحربهم الزيني مع بني هاشم ومرجف، ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه، وتحول عن مكانه، ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعدد من المراكب غنم فيها أموالاً عظيمة، وقتل أهلها وألح بالغارات على الأبلّة إلى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين، وقتل عاملها أبا الأحوص عبيد الله بن حميد الطوسي وخلقاً من أهلها واستباحها وأحرقها، وبلغ ذلك أهل عبّادان

فاستأمنوا له وملكها واستولى على ما فيها من الأموال والعبيد والسلاح إلى الأهواز، وبها إبراهيم بن المدبر على الخراج، فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسروا ابن المدبر، فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم إلى البلدان. وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين، فهزمهم وأخذ ما معهم وأثنى فيهم، وكان ابن المدبر أسيراً عندهم في بيت يحيى بن محمد البحراني، وقد ضمن لهم مالاً كثيراً ووكل به رجلين قد أخلصهم حتى حفر سرباً من البيت وخرج منه ولحق بأهله.

خلع المهتدي وقتله وبيعة المعتمد:

وفي أول رجب من سنة ست وخمسين شعب الأتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدي أخاه أبا القاسم ومعه كفتاً وغيره فسكنوهم وعادوا، وبلغ محمد بن بغا أن المهتدي قال للأتراك إن الأموال عند محمد وموسى ابني بغا، فهرب إلى أخيه بالسند وهو في مقاتلة موسى الشرابي فأمنه المهتدي ورجع ومعه أخوه حنون وكيفلغ، فكتب له المهتدي بالأمان ورجع إلى أصحابه وحبس وصادته على خمسة عشر ألف دينار، ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه إلى موسى بن بغا بأن يتسلم العسكر وأوصاه بمحاربة الشرابي وقتل موسى بن بغا ومفلح، فقرأ الكتاب على موسى وتواطؤا على أن يرجع بابكيال فيتدبر على قتل المهتدي، فرجع ومعه يارجوج وأساتكين وسيما الطويل ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب، فحبس بابكيال من بينهم واجتمع أصحابه ومعه الأتراك وشغبوا. وكان عند المهتدي صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور فأشار بقتله ومناجزتهم، فركب في المغاربة والأتراك والفراغنة على التعبية. ومشى والبلخي في الميمنة ويارجوج في الميسرة، ووقف هو في القلب ومعه أساتكين وغيره من القواد، وبعث برأس بابكيال إليهم مع عتاب بن عتاب، ولحق الأتراك من ميمنة المهتدي وميسرته بإخوانهم الأتراك، فانهزم الباقيون عن المهتدي وولى منهزماً ينادي بالناس ولا يجيبه أحد، وسار إلى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة، وافتتحوا عليه وحملوه على بغل إلى الجوسق، وحبس عند أحمد

ابن خاقان، وأرادوه على الخلع فأبى واستمات، فأخرجوا رقعة بخطه لموسى بن بغا وبابكيال وجماعة القواد أنه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهزم بذلك، ومضى فعلى شيئاً من ذلك فقد جعل أمر الخلافة بأيديهم يولون من شاءوا، فاستحلوا بذلك أمره وقتلوه. وقيل في سبب خلعه غير هذا وهو إن أهل الكرخ والدور من الأتراك طلبوا الدخول على المهتدي ليكلموه فأذن لهم، وخرج محمد بن بغا إلى المحمدية، ودخلوا في أربعة آلاف، فطلبوا أن يعزل عنهم قواده ويصادرهم وكتائبهم على الأهواز، وبصير الأمر إلى أخوته فوعدهم بالإجابة وأصبحوا من الغد يطلبون الوفاء بما وعدهم به، فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك إلا بسياسة ورفق فأبوا إلا المعاجلة فاستخلفهم على القيام معه في ذلك بإيمان البيعة فحلفوا ثم كتبوا إلى محمد بن بغا عن المهتدي وعنهم يعذلونه في غيبته عن مجلسهم مع المهتدي، وأنهم إنما جاؤا بشكوى حالهم ووجدوا الدار خالية، فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه في الأموال وكتبوا إلى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر إلى من ذكروه لهم، وبعثوا من يقيدهما إن لم يأترا ذلك. ولما قرئت الكتب على موسى وأصحابه امتنعوا لذلك وساروا نحو سامرا، وخرج المهتدي لقاتلهم على التعبية وترددت الرسل بينهم بطلب موسى أن يولي على ناحية ينصرف إليها، ويطلب أصحاب المهتدي أن يحضر عندهم فيناظرهم على الأموال إلى أن أنقض عنهم أصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان، ورجع بابكيال وجماعة من القواد إلى المهتدي فقتل بابكيال ثم أنف الأتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وأرادوا طردهم فأبى المهتدي ذلك، فخرج الأتراك عن الدار بأجمعهم طالبين ثار بابكيال، فركب المهتدي على التعبية في ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ونحو ألف من الأتراك أصحاب صالح بن وصيف، واجتمع الأتراك للحرب في عشرة آلاف، فانهزم المهتدي وكان ما ذكرناه من شأنه. ثم أحضر أبو العباس أحمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق، فبايعه الناس، وكتب الأتراك إلى موسى بن بغا وهو غائب فحضر وكملت البيعة لأحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فأصبح المهتدي ثاني يوم البيعة ميتاً منتصفاً رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته. ولم يزل ابن خاقان في وزارته إلى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطة بالميدان سال فيها دماغه من منخره، فاستوزر محمد بن مخلد. ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان بن وهب، ثم عزله وحبسه وولى

الحسن بن مخلد، وغضب الموفق لحبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربي وترددت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين.

ظهور العلوية بمصر والكوفة:

وفي سنة ست وخمسين ظهر بمصر إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عَبد الله بن محمد بن الحنفية، ويعرف بالصومي، يدعو إلى الرضا من آل محمد، وملك أشياء من بلاد الصعيد. وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مصر فهزمهم وقتل قائدهم، فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم إلى أبوخات وجمع هنالك جموعاً وسار إلى الأشمومين، فلقبه هنالك أبو عَبد الرحمن العمري، وهو عَبد الحميد بن عَبد العزيز بن عَبد الله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزوا بلادهم لما كان منهم في غزو بلاد المسلمين، فاشتد أمره في تلك الناحية وكثر أتباعه، وبعث إليه ابن طولون عسكراً فقال لقائده: أنا ألبث هناك لدفع الأذى عن بلاد المسلمين، فشاور أحمد بن طولون فأبى القائد إلا من أجزته فهزمه العمري. ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره، فبقي على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية. فلما جاء الصولي من الأشمومين لقيه العمري فهزمه وعاد العمري إلى أسوان واشتد عيئه، فبعث إليه ابن طولون العساكر فهرب إلى عيذاب وأجاز البحر إلى مكة وافترق أصحابه، وقبض عليه والي مكة وبعث به إلى ابن طولون فحبسه مدة ثم أطلقه فرجع إلى المدينة ومات بها وفي هذه السنة ظهر علي بن زيد، وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد في جيش كثيف فهزمه وأثنى في أصحابه. فسرح المعتمد إلى حربه كجور التركي فخرج على عن الكوفة إلى القادسية وملك كيجور الكوفة أول شوال، وأقام علي بن زيد ببلاد بني أسد. ثم غزا كيجور آخر ذي الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع إلى الكوفة، ثم إلى سر من رأى، وبقي علي هنالك إلى أن بعث المعتمد سنة تسع [*] ،

عسكرياً فقتلوه بعكر وانقطع أمره، وقيل سار إلى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الرى وسار موسى بن بغا إليه.

بقية أخبار الزنج:

قد تقدم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع بهم، ثم عاودوه قاووقوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره، ورجع إلى سامرا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخياط فقطع عنهم ميرة السفن. ثم سار إليهم في البحر فهزموه إلى البحرين، ثم بعث الخبيث عليّ بن أبان من قواده إلى إربل لقطع قنطرتها، فلقي إبراهيم بن سيما منصرفاً من فارس، فأوقع بهم إبراهيم وخرج علي بن أبان وسار إبراهيم إلى نهر جي وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه. وجاء الخبر إلى عليّ بن أبان بأقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشد من الأول، وانصرف إلى جي. وكان منصور بن جعفر الخياط منذ انهزم في البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق وإصلاح السفن، فزحف عليّ بن أبان لحصاره بالبصرة وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها وبعث لاحتشاد العرب، فوافاه منهم خلف فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين، ثم افتتحها علي بن أبان منتصف شوال وأفحش في القتل والتخريب، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الأمان فأمنهم وأحضرهم في بعض دور الإمارة فقتلهم أجمعين وحرق علي بن أبان الجامع ومواضع من البصرة، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعم النهب وأقام كذلك أياماً. ثم نادى بالأمان فلم يظهر أحد، وانتهى الخبر إلى الخبيث فصرف عليّ بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحراني.

مسير **المولد** **لحربهم:**
لما دخل الزنج البصرة وخربوها أمر المعتمد محمداً المعروف بالمولد بالمسير إلى البصرة، وسار إلى الأبله ثم نزل البصرة واجتمع إليه أهلها، وأخرج الزنج عنها إلى نهر معقل. ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام،

ووطن المولد نفسه على المقام، وبعث الخبيث إلى يحيى بن محمد أبا الليث الأصبهاني مدداً وأمرهم بتبيت المولد، فبيتوه وقاتلوه تلك الليلة والغد إلى المساء، ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحراني إلى الجامدة، وأوقع بأهلها، ونهب تلك القرى أجمع، وعاث فيها ورجع إلى نهر معقل.

مقتل منصور الخياط:

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار على بن أبان إلى جي، وعلى الأهواز يومئذ منصور بن جعفر الخياط قد ولاه عليها المعتمد بعد مواعته الزنج بالبحرين، فسار إلى الأهواز ونزل جي وسار علي بن أبان قائد الزنج لحربه. وجاء أبو الليث الأصبهاني في البحر مدداً له، وتقدم إلى منصور من غير أمر علي فظفر منصور وقتل الكثير ممن معه وأفلت منهزماً إلى الخبيث. ثم توافق علي بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه في النهر ليعبر إليهم فغرق، وقيل تقدم إليه بعض الزنج لما رآه فقتله في الماء. ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولّى يارجوج. على عمل منصور اصطيخور من قواد الأتراك.

مسير الموفق لحرب الزنج:

كان أبو أحمد الموفق، وهو أخو المعتمد بمكة، وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتد أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح. ولما انهزم سعيد بن سعيد بن صالح عقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والأهواز ثم قتله كما قلناه. فعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد الموفق على مصر وقنسرين والعواصم وخلع على مفلح، وذلك في ربيع سنة ثمان وخمسين وسيرهما لحرب الزنج فساروا في عدة كاملة. وخرج المعتمد يشيع أخاه، وكان علي بن أبان بجي ويحيى بن محمد البحراني بنهر العباس والخبيث في قلة من الناس وأصحابه مترددون إلى البصرة لنقل ما نهبوه. فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج إلى صاحبهم مرتاعين، فأمر علي بن أبان بالمسير إليهم ولقي مفلحاً في مقدمة الموفق فاقتلوا، وبينما هم يقتتلون إذ أصاب مفلحاً

سهم غرب فقتل، وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم. ثم رحل الموفق نحو الأبله ليجمع العساكر، ونزل نهر أبي الأسد ووقع الموتان في عسكره، فرجع إلى بادرود، وأقام لتجهيز الآلة وإزاحة العلل وإصلاح السفن، ثم عاد إلى عسكر الخبيث فالتقوا واشتد الحرب بينهم على نهر أبي الخصيب وقتل جماعة من الزنج، واستنقذ كثيراً من النساء المسيبات، ورجع إلى عسكره ببادرود فوقع الحريق في عسكره، ورحل إلى واسط، وافترق أصحابه، فرجع إلى سامرا واستخلف على واسط.

مقتل البحراني قائد الزنج:

كان اصطيخور لمّا ولي الأهواز بعد منصور الخياط بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج إلى نهر العباس عند مسير الموفق إليهم، فخرج إليه اصطيخور فقاتله، وعبر يحيى النهر، وغنم سفن الميرة التي كانت عند اصطيخور، وبعث طلائعه إلى دجلة فلقوا جيش الموفق فرجعوا هاربين، وطلّاع الموفق في اتباعهم، وعبروا النهر منهزمين. وبقي يحيى فقاتل وانهزم، ودخل في بعض السفن جريحاً وغنم طلائع الموفق غنائمهم والسفن، وأحرقوا بعضها وعبروا الماخورة على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم، فسعى به طبيب كان يداوي جراحه، وقبض عليه وحمل إلى سامرا وقطع، ثم قتل، ثم أنفذ الخبيث علي بن أبان وسليمان بن موسى الشعراني من قواده إلى الأهواز، وضم إليهما الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البحراني، وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدستميستان وانهزم أمامهما وغرق، وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرهما وحبسوا، ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون في نواحيها ويغنمون إلى أن قدم موسى بن بغا،

مسير ابن بغا لحرب الزنج:

ولما ملك الزنج الأهواز سنة تسع وخمسين سرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الأعمال، فبعث إلى الأهواز عبّد الرحمن بن مفلح، وإلى البصرة إسحق بن كنداجق، وإلى بادرود إبراهيم بن سيما، وأمرهم بمحاربة الزنج. فسار عبّد الرحمن إلى

علي بن أبان فهزمه أولاً، ثم كانت لعبد الرحمن الكرة ثانياً فأخذ فيهم، ورجعوا إلى الخبيث، وجاء عَبْدُ الرَّحْمَنِ إلى حصن نهدي فعسكر به، وزحف إليه علي بن أبان فامتنع عليه، فسار إلى إبراهيم بن سيماء ببادرود فواقعه، فانهزم أولاً إبراهيم ثم كانت له الكرة ثانياً. وسار ابن أبان في الغياض فأضرموها عليهم ناراً ففروا هاربين، وأسر منهم جماعة. وسار عَبْدُ الرَّحْمَنِ إلى علي بن أبان، وجاءه المدد من الخبيث في البحر، فبينما عَبْدُ الرَّحْمَنِ في حربه إذ بعث علي جماعة من خلفه وشعر بهم، فرجم القهقري ولم يصب منهم شيء إلا بعض السفن البحرية. ثم راجع عَبْدُ الرَّحْمَنِ حرب علي بن أبان وفي مقدمته طاشتمر، فأوقعوا بعلي بن أبان ولحق بالخبيث صاحب الزنج، وأقام عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مفلح. وإبراهيم يتناوبان حرب الخبيث ويوقعان به، وإسحق بن كنداجق بالبصرة يقطع عنه المدد، وهو يبعث لكل منهما طائفة يقاتلونهم، وأقاموا على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بغا عن حربهم ووليها مسرور البلخي كما نذكر.

استيلاء الصفار على فارس وطبرستان:

قد تقدم استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على فارس أيام المعتز من يد علي بن الحسين بن مقبل. ثم عادت فارس إلى الخلفاء ووليها الحرث بن سيماء، وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي، فاتفق مع أحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواحيها ووثبوا بالحرث بن سيماء فقتلوه، وأستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين، وقام بدعوة المعتمد وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفياض، فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين، وبلغ ذلك المعتمد فكتب إليه بالنكير، وبعث إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكهما وقبض على رتبيل، وبعث إلى المعتمد برسله وهداياه. ثم رجع إلى بست، واعتزم على العود إلى سجستان، فعجل بعض قواده الرحيل قبله، فغضب وأقام سنة ثم رجع إلى سجستان.

استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر منها ثم

استيلاؤه على طبرستان:

ثم جاء إلى هراة وحاصر مدينة نيسابور حتى ملكها ثم سار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن علي بن طاهر بن الحسين، وبعث إليه محمد بن طاهر بن عبدالله شافعاً فيه فأبى من إطلاقه، ثم ولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع إلى سجستان وكان بها عبدالله السحري ينازعه. فلما قوي عليه يعقوب فر منه إلى خراسان وحاصر محمد بن طاهر في نيسابور، ورجع إليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد، وولاه الطبيين وقهستان، وأرسل يعقوب في طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب إليه بنيسابور فلم يطق لقاءه ونزل يعقوب بظاهرها، فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه. ثم خرج إليه فوبّخه على التفريط في عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها، وأرسل إلى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر في أمره، وغلبه العلوي على طبرستان فبعث إليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده، وإلا سلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين. وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك وهو إن محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والإدبار، فكتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعوه، فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر بمجيئه إلى ناحية موريا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان، وأن المعتمد أمره بذلك، وأنه لا يعرض شيئاً من أعمال خراسان. وبعث بعض قواده عيناً عليه يمنع من البراح عن نيسابور، وجاء بعده. وقدم أخاه عمرا إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنفه على الأعمال والعجز، وقبض على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجلاً، وحملهم جميعاً إلى سجستان، واستولى على خراسان، ووثب نوابه في سائر أعمالها، وذلك لإحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد. ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبّد الله السخري إلى الحسن بن زيد صاحب طبرستان، فبعث إليه فيه فأجاره. وسار إلى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن إلى أرض الديلم، ومليّك يعقوب سارية وأمل ومضى في أثر الحسين من عسكره نحو من أربعين ألفاً من الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة، وكتب إلى المعتمد بذلك وكان عبّد الله السخري قد هرب بعد هزيمة الحسن

العلوي إلى الري فسار يعقوب في طلبه، وكتب إلى عامل الري يؤذنه بالحرب إن لم يدفعه إليه، فبعث به إليه وقتله ورجع إلى سجستان.

استيلاء الحسن بن زيد على جرجان:

ولما هرب الحسن بن زيد إمام مفلح من طبرستان، ورجع مفلح اعترزم الحسن على الرجوع إلى جرجان فبعث محمد بن طاهر إليها العساكر لحفظها فلم يغنوا عنها، وجاء الحسن فملكها وضعف أمر ابن طاهر في خراسان، وانتقض عليه كثير من أعمالها، وظهر المتغلبون في نواحيها، وعاث السراة من الخوارج في أعمالها ولم يقدر على دفعهم، وآل ذلك إلى تغلب الصفار على ابن طاهر، وانتزاع خراسان من يده كما ذكرنا [*]

فتنة الموصل :

كان المعتمد قد ولى على الموصل أساتكين من قواد الأتراك، فبعث عليها هو ابنه أذكرتكين، وسار إليها في جمادى سنة تسع وخمسين، فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس في طلب الخوارج، وتعرض بعض الأيام رجل من حاشيته إلى امرأة في الطريق، وتخلصها من يده بعض الصالحين، فأحضره أذكرتكين وضربه ضرباً شديداً، فاجتمع وجوه البلد وتامروا في رفع أمرهم إلى المعتمد، فركب إليهم ليقع بهم فقاتلوه وأخرجوه، واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم. ولما كانت سنة إحدى وستين ولى أساتكين عليها الهيثم بن عبيد الله بن العمد الثعلبي العدوي وأمره أن يزحف لحربهم ففعل، وقاتلوه أياماً وكثرت القتل بينهم ورجع عنهم الهيثم، وولى أساتكين مكانه إسحق بن أيوب الثعلبي جد بني حمدان وغيره،

وحاصرها مدة، ومرض يحيى بن سليمان الأمير في أثنائها فطمع إسحق في البلد وجد في الحصار، واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه، وحملوا يحيى بن سليمان في قبة وألقوه أمام الصف واشتد القتال، ولم يزل إسحق يرأسهم وبعدهم حسن السيرة إلى أن أجابوه على أن يقيم بالربض فأقام أسبوعاً، ثم حدثت ممن بايعة بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه، واستقر يحيى بن سليمان بالموصل.

حروب ابن واصل بفارس:

قد تقدم لنا وثوب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي بالحرث بن سيماء عامل فارس وتغلبه عليها سنة ست وخمسين، فلما بلغ ذلك إلى المعتمد أضاف فارس إلى عبّد الرحمن بن مفلح وبعثه إلى الأهواز وأمدّه بطاشتم، وزحفوا من الأهواز إلى ابن واصل سنة إحدى وستين، فسار معهم من فارس ومعه أبو داود العلوس، ولقيهم برام هرمز فهزمهم، وقتل طاشتم وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم. وبعث إليه المعتمد في إطلاق ابن مفلح فقتله خفية وسار لحرب موسى بن بغا بواسط، وانتهى إلى الأهواز، وبها إبراهيم بن سيماء في جموع كثيرة. ولما رأى موسى بن بغا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتهم فأعفاه، وكان عند انصراف ابن مفلح عن الأهواز إلى فارس قد ولي مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج، فبعث صهره عبّد الرحمن لذلك فلقيه علي بن أبان قائد الزنج، فهزمه علي وقتله، وانحاز أبو الساج إلى عبيكر مكرم، وملك الزنج الأهواز فعاثوا فيها. ثم عزل أبو الساج عن ذلك وولى مكانه إبراهيم بن سيماء فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الأعمال كلها ولما هزم إبراهيم بن سيماء بن واصل بن عبّد الرحمن بن مفلح وقتله، طمع يعقوب الصفار في ملك فارس، فسار من سجستان مجداً، ورجع ابن واصل من الأهواز، وترك محاربة ابن سيماء، وأرسل خاله أبا بلال مرداس إلى الصفار، وراجعته بالكتب والرسائل بحبس ابن واصل رسله، ورحل بعد السير ليفجأه على بغة، وشعر به الصفار فقال لخاله مرداس: إن صاحبك قد غدر بنا وسار إليهم، وقد أعيوا وتعيبوا من شدة السير، ومات أكثرهم عطشاً. فلما تراءى الجمعان انهزم ابن واصل دون قتال، وغنم الصفار ما في عسكره وما كان لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل زم لإعانتهم ابن واصل، وطمع في الاستيلاء على الأهواز وغيرها.

مبدأ دولة بني سامان وراء النهر:

كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها، وينتسبون في الفرس تارة إلى سامة بن لؤي وإلى ابن غالب أخرى. وكان لأسد أربعة من الولد: نوح وأحمد ويحيى وإلياس. وتقدموا عند المأمون أيام ولايته خراسان واستعملهم، ولما انصرف المأمون إلى العراق ولي على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن سهل، فولى نوحاً منهم على سمرقند وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة وإلياس على هراة. فلما ولي طاهر بن الحسين بعده أقرهم على أعمالهم. ثم مات نوح بن أسد فأقر أخوه يحيى وأحمد على عمله، وكان حسن السيرة. ومات إلياس بهراة، فولى عَبْدُ اللَّهِ بن طاهر مكانه ابنه أبا إسحق محمد بن إلياس، وكان لأحمد بن أسد من البنين سبعة نصر ويعقوب ويحيى وإسماعيل وإسحق وأسد وكنيته أبو الأشعث وحميد وكنيته أبو غانم. فلما توفي أحمد استخلف ابنه نصرأ على أعماله بسمرقند وما إليها، وأقام إلى انقراض أيام بني طاهر وبعدهم، وكان يلي أعماله من قبل ولاة خراسان إلى حين انقراض أيام بني طاهر. واستولى الصفار على خراسان، فعقد المعتمد لنصر هذا على أعماله من قبله سنة إحدى وستين، ولما ملك يعقوب الصفار خراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه إلى شط جيحون مسلحة من الصفار، فقتلوا مقدمهم ورجعوا إلى بخارى، وخشيتهم واليها على نفسه ففر عنها، فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه إسماعيل لضبط بخارى. ثم ولي خراسان بعد ذلك رافع بن هرثمة بدعوة بني طاهر، وغلب الصفار عليها، وحصلت بينه وبين إسماعيل صاحب بخارى موالاة اتفقا فيها على التعاون والتعاقد، وطلب منه إسماعيل أعمال خوارزم، فولاه إياها، وفسد ما بين إسماعيل وأخيه مضر، وزحف نصر إليه سنة اثنتين وسبعين، واستجاش إسماعيل برافع بن هرثمة فسيار إليه بنفسه مدداً، ووصل إلى بخارى، ثم أوقع الصلح بينه وبين أخيه خوفاً على نفسه، وانصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين، وظفر إسماعيل بنصر. ولما حضر عنده ترجل له إسماعيل وقبل يده ورده إلى كرسي إمارته بسمرقند، وأقام نائباً عنه ببخارى، وكان إسماعيل خيراً مكرماً لأهل العلم والدين.

مسير الموفق إلى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد:

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقية عزم المعتمد على تجهيز أخيه أبي أحمد الموفق، فجلس في دار العامة وأحضر الناس على طبقاتهم، وذلك في شوال من سنة إحدى وستين، وعقد لابنه جعفر العهد من بعده، ولقبه المفوض إلى الله، وضم إليه موسى بن بغا وولاه أفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ونهر تصدق، وعقد لأخيه أبي أحمد العهد بعده ولقبه الناصر لدين الله الموفق، وولاه المشرق وبغداد وسواد الكوفة وطريق مكة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والري وزنجان والسند، وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود، وشرط أنه إن مات وجعفر لم يبلغ يتقدم الموفق عليه، ويكون هو بعده، وأخذت البيعة بذلك على الناس، وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب، واستوزر صاعد بن مخلد، ثم نكبه سنة إثنين وسبعين واستصفاه واستكتب مكانه الصفر إسماعيل بن بابل، وأمر المعتمد أخاه الموفق بالمشير لحرب الزنج فبعثه في مقدمته واعتزم على المشير بعده.

وقعة الصفار والموفق:

لما كان يعقوب الصفار ملك فارس من يد واصل، وخراسان من يد ابن طاهر، وقبض عليه صرح المعتمد بأنه لم يوله ولا فعل ما فعل بإذنه، وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان. ثم سار إلى الأهواز يريد لقاء المعتمد، وذلك سنة إثنين وسبعين. فأرسل إليه المعتمد إسماعيل بن إسحق وفهواج من قواد الأتراك ليردوه على ذلك، وبعث معهما من كان في حبسه من أصحابه الذين حبسوا عندما قبض على محمد بن طاهر، وعاد إسماعيل من عند الصفار بعزمه على الموصل، فتأخر الموفق لذلك عن المشير لحرب الزنج ووصل مع إسماعيل من عند الصفار حاجبه درهم يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشرطة ببغداد، فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً إلى ما بيده من سجستان وكرمان، وأعاد حاجبه إليه بذلك ومعه عمر بن سيما فكتب يقول: لا بد من الحضور بباب المعتمد. وارتحل من عسكر مكرم حاماً، وسار إليه أبو

الساج من الأهواز لدخوله تحت ولايته، فأكرمه ووصله وسار إلى بغداد. ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية وأخاه مسرور البلخي، فقاتله منتصف رجب، وانهزمت ميسرة الموفق، وقتل فيها إبراهيم بن سيما وغيره من القواد. ثم تراجعوا واشتدت الحرب، وجاء إلى الموفق محمد بن أوس والداراني مدداً من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة فانهزموا، وخرج الصفار وأتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر، ومن الأموال ما يؤد حمله، وكان محمد بن طاهر معتقلاً معه في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلص ذلك اليوم، وجاء إلى الموفقة وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد، وسار الصفار إلى خوزستان فنزل جنديسابور، وأرسله صاحب الزنج يحثه على الرجوع ويعدّه المساعدة، فكتب إليه: **{ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون }** السورة. وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكها، فكتب إليه المعتمد بولايتها، وبعث الصفار إليه جيشاً مع عمر بن السري من قواده، فأخرجه عنها وولى على الأهواز محمد بن عبدالله بن طاهر. ثم رجع المعتمد إلى سامرا والموفق إلى واسط، واعتزم الموفق على اتباع الصفار، فقعد به المرض عن ذلك، وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البلخي سار بعد موسى وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد.

سياقة أخبار الزنج:

قد ذكر أن مسروراً البلخي سار بعد موسى بن بغا لحرب الزنج، ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصفار، وبلغ صاحب الزنج جاؤا النواحي من العساكر، فبعث سراياه فيها للنهب والحرق والتخريب في بعث سليمان بن جامع إلى البطيحة وسليمان بن موسى إلى القادسية. وجاء أبو التركي في السفن يريد عسكر الزنج فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهراً حتى تخلص وانحاز إلى سليمان بن جامع، وبعث إليهما الخبيث بالمدد، وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جنداً في البحر إلى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم، ونزل بقرة مروان قريباً من يعقوب متحصناً بالغياض والأغوار. وزحف إليه قائدان من بغداد وهما أغرتمش وحشيش في العساكر براً وبحراً، وأمر سليمان أصحابه بالاختفاء في تلك

الغياض حتى يسمعوأ أصوات الطبول. وأقبل أغرتمش، ونهض شردمة من الزنج فواقعوا أصحابه وشاغلوهم، وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا إليهم في الماء، فانهزم أصحاب أغرتمش وظهر ما كان مختفياً، وقتل حشيش واتبعوهم إلى العسكر وغنموا منه، وأخذوا من القطع البحرية، ثم استردها أغرتمش من أيديهم، وعاد سليمان ظافراً وبعث برأس حشيش إلى الخبيث صاحبه، فبعث به إلى علي بن أبان في نواحي الأهواز، وكان مسرور البلخي قد بعث إلى كور الأهواز أحمد بن كيتونة، فنزل السوس وكان صاحب الأهواز من قبل الصفار يكاتب صاحب الزنج وداريه، ويطلب له الولاية عنه، فشرط عليه أن يكون خليفة لابن أبان، واجتمعا بتستر. ولما رأى أحمد تظاهرها رجعا إلى السوس، وكان علي بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله، فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفار ولم يذكر الخبيث، فغضب علي وسار إلى الأهواز. وجاء أحمد بن كيتونة إلى تستر، فأوقع بمحمد بن عبد الله وتحصن منه بتستر. وأقبل علي بن أبان إليه فاقتتلا واشتد القتال بينهما، وانهزم علي بن أبان، وقتل جماعة من أصحابه ونجا بنفسه جريحاً في الساريات بالنهر، وعاد إلى الأهواز. وسار منها إلى عسكر الخبيث، واستخلف على عسكره بالأهواز حتى داوى جراحة ورجع. ثم بعث أخاه الخليل إلى أحمد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتله، وقد أكن لهم فانهزموا، وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون إلى علي بن أبان، وبعث مسلحة إلى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب أحمد بن كيتونة، وقتلهم الزنج جميعاً فحظي عنده بذلك وبعث في أثر إبراهيم من قتله في سرخس. ولما أراد الصفار العود إلى سجستان ولى على نيسابور عزيز بن السري وعلى هراة أخاه عمرو بن الليث، فاستخلف عمر وعليها طاهر بن حفص الباذغيسي وسار إلى سجستان سنة إحدى وستين، فجاء الخبيث إلى أخيه علي وزين له أن يقيم نائباً عنه في أموره بخراسان، وطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له. ولما ارتحلوا جمع جمعاً وجارب علياً فأخرجه من بلده، ثم غلب عزيز بن السري على نيسابور وملكها أول إثنين وستين، وقام بدعوة بني طاهر. واستقدم رافع بن هرثمة من رجالهم فجعله صاحب جيشه، وكتب إلى يعمر بن سركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه فلم يثق إليه، وسار إلى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص، وقتله وزحف إليه أحمد وكانت بينهما مواسة. ثم داخل بعض قواد أحمد الخجستاني في

الغدر بيعمر، على أن يمكنه من أخيه أبي طلحة، فكلف ذلك القائد به فتم ذلك، وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وبعثه إلى نائبه بنيسابور فقتله، وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه. وسار إلي بنيسابور في جماعة، فلقي بها الحسين بن طاهر مردوداً من أصبهان طمعاً أن يدعو له أحمد الخجستاني كما كان يزعم حين أورد فلم يخطب، فخطب له أبو طلحة وأقام معه بنيسابور، فسار إليهما الخجستاني من هراة في إثني عشر ألفاً، وقدم أخاه العباس فخرج إليه أبو طلحة وهزمه، فرجع أحمد إلى هراة ولم يقف على خبر أخيه، وانتدب رافع وهرثمة إلى استعلاء خبره واستأمن إلى أبي طلحة فأمنه ووثق إليه. وبعث رافع إلى أحمد نجبر أخيه العباس، ثم أنفذه طاهر إلى يهق لجباية مالها، وضم معه قائدين لذلك، فحبى المال وقبض على القائدين وانتقض. وسار إلى الخجستاني ونزل في طريقه بقرية وبها علي بن يحيى الخارجي، فنزل ناحية عنه، وركب ابن طاهر في أتباعه فأدركه بتلك القرية، فأوقع بالخارجي يظنه رافعاً، ونجا رافع إلى الخجستاني. وبعث ابن طاهر إسحق الشرابي إلى جرجان لمحاربة الحسن بن زيد والديلم منتصف ثلاث وستين، فأتخن في الديلم ثم انتقض على ابن طاهر، فسار إليه وكبسه إسحق في طريقه فانهزم إلى نيسابور واستضعفه أهلها فأخرجوه، فأقام على فرسخ منها، وجمع جمعاً وحاربهم، ثم كتب إلى أهل نيسابور، إلى إسحق باستدعائه ومساعدته علي بن طاهر وأبي طلحة، وكتب إلى أهل نيسابور عن إسحق بالمواعدة. وسار إسحق أبو محمد في قفة من الجند، فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاضر نيسابور، فاستقدموا الخجستاني من هراة وأدخلوه. وسار أبو طلحة إلى الحسن بن زيد مستنجداً فأنجده ولم يظفر، وعاد إلى بلخ وحاصرها سنة خمس وستين، وخرج للخجستاني من نيسابور به، وحاربه الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة. وجاء أهل جرجان مدداً للحسن، فهزمهم الخجستاني وأغرمهم أربعة آلاف ألف درهم. ثم جاء عمرو بن الليث إلى هراة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفار، وعاد الخجستاني من جرجان إلى نيسابور، وسار إليه عمرو من هراة فاقتتلا وانهزم عمر، ورجع إلى هراة، وأقام أحمد بنيسابور. وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون إلى عمرو لتولية السلطان إياه، فأوقع السجستاني بينهم الفتنة ليشغلهم بها، ثم سار إلى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر منه بشيء، فسار نحو سجستان وترك نائبه بنيسابور فأساء السيرة وقوى أهل الفساد، فوثب به أهل نيسابور

واستعانوا بعمر بن الليث وبعث إليهم جنداً يقبض على نائب الخجستاني وأقاموا بها، ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها، وأقام إلى تمام سبع وستين، وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بلخ فقدم عليه وأعطاه أموالاً واستخلفه بخراسان، وسار إلى سجستان، وسار أحمد إلى سرخس ولقيه أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان، وأقام أحمد بطخارستان. ثم جاء أبو طلحة إلى نيسابور فقبض على أهل الخجستاني وعياله، وجاء أحمد من طخارستان إلى نيسابور وأقام بها. ثم تبين لابن طاهر أن الخجستاني إنما يروم لنفسه، وليس على ما يدعيه من القيام بأمرهم. وكان على خوارزم أحمد بن محمد بن طاهر، فبعث قائده أبا العباس النوفلي إلى نيسابور في خمسة آلاف مقاتل، وخرج أحمد أمامهم وأقام قريباً منهم، وأفحش النوفلي في القتل والضرب والتشويه، وبعث إليه الخجستاني فنهاه عن مثل ذلك فضرب الرسل، فلحق أهل نيسابور بالخجستاني واستدعوه وجاءوا به وقبض على النوفلي وقتله. ثم بلغه أن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله بن طاهر بمرو، فسار إليه من أسورد في يوم وليلة وقبض عليه وولّى عليها موسى البلخي، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل إليهم نحو عشرين ألف درهم، وكان الخجستاني لما بلغه أخذ والدته من نيسابور وهو بطخارستان وسار مجداً، فلما بلغ هراة أتاه غلام لأبي طلحة مستأماً فأمنه وقربه فغص به وغلّامه الخالصة عنده والجنود، وطلب الفرصة في قتل الخجستاني، وكان قد غور ساقية قطع، فاتفقا على قتله فقتلاه في شوال سنة ثمان وستين. وأنفذ دامجور خاتمه إلى الإسطبل. مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخير إلى أبي طلحة ليستقدموه، وأبطأ ظهوره على القواد فدخلوا فوجدوه قتيلاً، وأخبرهم صاحب الإسطبل بخبر الخاتم والدواب، وطلبوا دامجور فلم يجدوه، ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه، واجتمعوا على رافع بن هرثمة وكان من خبره ما نذكره.

استيلاء الصفار على الأهواز:

ثم سار يعقوب الصفار من فارس إلى الأهواز، وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البلخي على الأهواز مقيم على تستر، فرحل عنها ونزل يعقوب جنديسابور، ففرّ كل من كان في تلك النواحي من عساكر السلطان، وبعث إلى الأهواز من أصحابه الخضر بن

المعبر، فأفرج عنها عليّ بن أبيان والزنج ونزلوا السّدره، ودخل خضر الأهواز، وأقام أصحاب الخضر وابن أبيان يغير بعضهم على بعض. ثم فرّ ابن أبيان وسار إلى الأهواز فأوقع بالخضر وقتك في أصحابه وغنم، ولحق الخضر بعسكر مكرم، واستخرج ابن أبيان ما كان بالأهواز ورجع إلى نهر السّدره. وبعث يعقوب إلى الخضر مدّداً وأمره بالكفّ عن قتال الزنج والمقام بالأهواز، فأبى ابن أبيان من ذلك إلا أن ينقل طعاماً ما كان هناك فنقله وتوادعوا.

استيلاء الزنج علي واسط:

قد تقدّم لنا واقعة أغرتمش مع سليمان بن جامع، وظفر سليمان به، فلما انقضى أمره سار سليمان إلى صاحب الخبيث ومّر في طريقه بعسكر تكين البخاريّ وهو ببردود، فلما حاذاه قريباً أشار عليه الجناني أن يغير على العسكر في البحر ويستطرد لهم لينتهزوا منهم الفرصة ففعل، وجاء مستطردا وقد أكمّنوا لهم الكمّاء حتى أجازوا موضع الكمائن. وركب سليمان إليهم وعطف الجناني على من في النهر وخرجت الكمائن من خلفهم فأثخنوا فيهم إلى معسكرهم، ثم بيتوهم ليلاً فنالوا منهم، وانكشف سليمان قليلاً، ثم عبر أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة برأ وبحراً، فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره. ثم استخلف سليمان على عسكره الجناني، وسار إلى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين. ومضى الجناني بالعسكر لطلب الميرة، فاعترضه جعلان من قوّاد السلطان وهزمه وأخذ سيفه. ثم زحف منكجور ومحمد بن علي بن حبيب من القوّاد، وبلغ الحجاجيّة فرجع سليمان مجدداً إلى طهثا يريد جعلان وفي مقدمته الجنانيّ. ثم كر إلى ابن خبيث فهزمه وقتل أخاه وغنم ما معه. ثم سار في شعبان إلى قرية حسان فأوقع بالقائد هناك جيش ابن خمار تكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها. ثم بعث العساكر في الجهات للنهب برّاً وبحراً، واعترض جعلان بعضهم فأوقع بهم، ثم سار سليمان إلى الرصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغنم ما فيها ورجع إلى منزله بمدينة الخبيث، وجاء مطر إلى الحجاجيّة فعات فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضي سليمان، فحمّله إلى

واسط. ثم سار إلى طهثا وكتب الجنابيّ بذلك إلى سلمان فوافاه لإثنتين من ذي الحجة، وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان سار إلى الكوفة وجبل، فعاد إلى البريدية وصرف جعلان وضبط تلك الأعمال، وأوقع تكين بسليمان وقتل جماعة من قوّاده. ثم ولى الموفق على مدينة واسط محمد بن الوليد وجاءه في العساكر، واستمّد سليمان صاحبه بالخليل بن أبان في ألف وخمسمائة مقاتل، فزحف إلى ابن المولّد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخاريّ فقاتله عامة يومه، ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان إلى جبل، واستدعوه في نواحيها تسعين ليلة.

استيلاء ابن طولون على الشام:

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قواد الأتراك، فتوفي سنة أربع وستين وقام ابنه عليّ مكانه. وتجهز أحمد بن طولون من مصر إلى دمشق، وكتب إلى ابن ماجور بأن المعتمد أقطعه الشام والثغور، فأجاب بالطاعة، وسار أحمد واستخلف على مصر ابنه العبّاس، ولقيه ابن ماجور بالرملة فولّاه عليها، وسار إلى دمشق فملكها وأقرّ القوّاد على أقطاعهم. ثم سار إلى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب، وكان على أنطاكية وطرسوس سيما الطويل من قواد الأتراك، فبعث إليه ابن طولون بالطاعة، وأن يقرّه على ولايته فامتنع، فسار إليه ودلّوه على عورة في سور البلد نصب عليها المجانيق، وقاتله فملكها عنوة وقتل سيما في الحرب، فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها وبريد الغزو. وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم إلى الشام، ومضى إلى حرّان وبها محمد بن أتامش فحاربه وهزمه، واستولى عليها. ثم جاءه الخبر بانتفاض ابنه العبّاس بمصر وأنه أخذ الأموال وسيار إلى برقة فلم يكثرث لذلك، وأصلح أحوال الشام وأنزل بحرّان عسكرياً، وولى مولاه لؤلؤاً على الرقّة وأنزل معه عسكرياً، وبلغ موسى بن أتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو

جرجان وبها أحمد بن جيفونة من قواد ابن طولون فأهمل مسيره، وقال له بعض الأعراب واسمه أبو الأعز: لا يهملك أمره فإنه طيَّاش قلق وأنا أتيك به ! فقال: إفعلي! وزاده عشرين رجلاً، وسار إلى عسكر موسى بن أتامش، فأكمن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقي على زي الأعراب، وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واهتاج العسكر وركبوا واستطرد لهم أبو الأعز حتى جاوز الكمين وموسى في أوائلهم، فخرج الكمين وانهزم أصحاب موسى من ورائه، وعطف عليه أبو الأعز فأخذه أسيراً وجاء به إلى ابن جيفونة، وبعث به إلى ابن طولون فاعتقله وعاد إلى مصر وذلك سنة ست وستين. (ومن أخبار الزنج) أن سليمان احتفر نهراً يمر إلى سواد الكوفة ليتهاى له الغارة على تلك النواحي وكان أحمد بن كيتونة [*] فكبسهم وهم يعلمون، وقد جمروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحواً من أربعين قائداً وأحرق سفنهم، ورجع سليمان مهزوماً إلى طهتا. ثم عدت عساكر الزنج على النعمانية واستباحوها وصار أهلها إلى جرجايا وأحفل أهل السواد إلى بغداد، وزحف علي بن أبان بعسكر الزنج إلى تستر فحاصرها وأشرف على أخذها. وكان الموفق يستعمل على كور الأهواز مسروراً البلخي فولى عليها تكين البخاري فسار إليها ووافاها أهل تستر في تلك الحال فأغزى علي بن أبان وهزمه، وقتل من الزنج خلقاً ونزل تستر. وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس، وجاء عين بخبرهم إلى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة. وسار ابن أبان فانهزم أمامه وكتب ابن أبان إلى تكين يسأله الموادعة فوادعه بعض الشيء واتهمه مسرور فسار وقبض عليه وحبسه عند عجلان بن أبان، وفر منه أصحابه وطائفة إلى الزنج وطائفة إلى محمد بن عبدالله الكرخي ثم آمن الباقيين فرجعوا إليه.

موت يعقوب الصفار وولاية عمر وأخيه:

وفي سنة خمس وستين أخريات شوال مات يعقوب الصفار وقد كان افتتح

الرجح وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكة واسعة الحدود. وافتتح زابلستان وهي غزنة، وكان المعتمد قد استماله وقلّده أعمال فارس. ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاه الموفق من قبله ما كان له من الأعمال، خراسان وأصبهان والسند وسجستان والشرطة ببغداد وسر من رأى وقبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وخلع الموفق عمرو بن الليث، وولى على أصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف محمد بن أبي الساج.

أخبار الزنج مع أغرتمش:

قد كان تقدم لنا إيقاع سليمان بن جامع بأغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط، ثم ولى أغرتمش مكان تكين البخاري ما يتولاه من أعمال الأهواز فدخل تستر في رمضان ومعه مطر بن جامع، وقتل جماعة من أصحاب أبان كانوا مأسورين بها. ثم سار إلى عسكر مكرم، ووافاه هناك علي بن أبان والزنج، فاقتتلوا ثم تهاجزوا لكثرة الزنج، ورجع عليّ إلى الأهواز وسار أغرتمش إلى الخليل بن أبان ليعبروا إليه من قنطرة أربل، وجاءه أخوه عليّ وخاف أصحابه المخلفون بالأهواز فارتحلوا إلى نهر السروة وتحارب عليّ وأغرتمش يوماً ثم رجع عليّ إلى الأهواز ولم يجد أصحابه، فبعث من يردهم إليه فلم يرجعوا. وجاء أغرتمش وقتل مطر بن جامع في عدّة من القوادر، وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه أغرتمش وتركه. ثم بعث محمد بن عبيد الله إلى أبكلاي ابن الخبيث في أن يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه، وبعث بطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار إليه، وهرب محمد من رامهرمز إلى أقصى معاقله، ودخل عليّ والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها. ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم، وترك أعماله. ثم استنجد محمد بن عبيد الله على الأكراد، على أن لعلّ غنائمهم، فاستخلف عليّ على ذلك مجلّز، وطلب منه الرهن فمطل وبعث إليه الجيش فزحف بهم إلى الأكراد. فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج

وأثنى الأكراد فيهم، وبعث عليّ من يعترضهم فاستلبوهم، وكتب عليّ إلى محمد يتهدده فاعتذر ورد عليهم كثيراً من أسلابهم، وخشي من الخبيث وبعث إلى أصحابه مالاً ليسأله في الرضا عنه، فأجابهم إلى ذلك على أن يقيم دعوته في أعماله ففعل كذلك. ثم سار ابن أبان لحصار مؤتة واستكثر من آلات الحصار، وعلم بذلك مسرور البلخي وهو بكور الأهواز، فسار إليه ووافاه عليها، فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هناك، وقتل من الزنج خلق، وجاء الخبر بمسير الموفق إليهم.

استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة:

لما دخل الزنج واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه بعث الموفق ابنه أبا العباس، وهو الذي ولي الخلافة بعد المعتمد ولقب، المعتضد فبعثه أبوه بين يديه في ربيع سنة ست وستين في عشرة آلاف من الخيل والرجال. وركب لتشييعه، وبعث معه السفن في النهر، عليها أبو حمزة نصر، فسار حتى وافى الخيل والرجل والسفن النهرية، وعلى مقدّمته الجناني وأنهم نزلوا الجزيرة قريباً من بردروبا، وجاءهم سليمان بن موسى الشعراني مدداً بمثل ذلك، وأن الزنج اختلّفوا في الاحتشاد، ونزلوا من السفح إلى أسفل واسط ينتهزون الفرصة في ابن الموفق لما يظنون من قلة درايته بالحرب، فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيراً فلقاهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أولاً، ثم كر في وجوهم وصاح بنصير فرجع، وركب أبو العباس السفن النهرية فهزم الزنج وأثنى فيهم، وأتبعهم ستة فراسخ، وغنم من سعيهم وكان ذلك أول الفتح. ورجع سليمان بن جامع إلى نهر الأمين، وسليمان بن موسى الشعراني إلى سوق الخميس، وأبو العباس على فرسخ من واسط يغاديهما القتال ويراهم. ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه، وركب في السفن النهرية وبرز إليه نصير في سفنه، وركب معه أبو العباس في خاصته وأمر الجند بمحاذاته من الشط، ونشب الحرب ف وقعت الهزيمة على الزنج وغنمت سفنهم، وأفلت سليمان والجناني من

الهلكة، وبلغوا طهتا، ورجع أبو العباس إلى معسكره وأمر لإصلاح السفن المغنومة، وحفر الزنج في طريق الجبل الآبار وغطوها، فوقع بعض الفرسان فيها، فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق. وأمر الخبيث أصحابه بالسفن في النهر وأغاروا على سفن أبي العباس، وغنموا بعضها، وركب في أتباعهم واستنقذ سفنهم، وغنم من سفنهم نحواً من ثلاثين، وجدّ في قتالهم وتحصّن ابن جامع بطهتا، وسمّى مدينته المنصورة. والشعراني بسوق الخميس، وسمّى مدينته المنية. وكان أبو العباس يغير على الميرة التي تأتيهم من سائر النواحي، وركب في بعض الأيام إلى مدينة الشعراني التي سمّاها المنية، وركب نصير في النهر، وافترقوا في مسيرهم، واعترضت أبا العباس جماعة من الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقتلوه مقدار نهاره، وأشاعوا قتل نصير، وخالفهم نصير إلى المدينة فأئخن فيها وأضرموا النار في بيوتها. وجاء الخبر بذلك إلى أبي العباس بسيرة. ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم، ورجع أبو العباس إلى معسكره، وبعث الخبيث إلى ابن أبان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبي العباس.

وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنية والمنصورة:

كان الموفق لمّا بعث ابنه أبا العباس لحرب الزنج تأخر لإمداده بالحشود والعدد وإزاحة عله ومسارقة أحواله، فلما بلغه اجتماع ابن أبان وابن جامع لحربه سار من بغداد إليه فوصل إلى واسط في ربيع الأول من سنة سبع وستين، ولقيه ابنه وأخبره بالأحوال، ورجع إلى معسكره. ونزل الموفق على نهر شداد، ونزل ابنه شرقي دجلة على موهة بن مساور، فأقام يومين ثم رحل إلى المنية بسوق الخميس، سار إليها في النهر، ونادى بالمقامة ولقيه الزنج فحاربوه، ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم أصحاب أبي العباس فاقتحموا عليهم المنية وقتلوا خلقاً وأسروا آخرين، وهرب الشعراني، واختفى في الآجام آخرون، ورجع الموفق إلى معسكره وقد استنقذ من المسلمين نحو خمس عشرة امرأة ثم غدا على المنية فأمر بنهبها وهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي من

السفن فيها، وبيعت الأقوات التي أخذت، فكانت لا حدّ لها فصرفت في الجند. وكتب الخبيث إلى ابن جامع يحذره مثل ما نزل بالشعراني، وجاءت العيون إلى الموفق أن ابن جامع بالحوانيث، فسار إلى الضبية وأمر ابنه بالسير في النهر إلى الحوانيث، فلم يلق ابن جامع بها، ووجد قائدين من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلات، ولحق بمدينته المنصورة بطهتا، فقاتل ذلك الجند ورجع إلى أبيه بالخبر فأمره بالمسير إليه، وسار على أثره برّاً وبحراً حتى نزلوا على ميلين من طهتا، وركب ليوني مقاعد القتال على المنصورة فلقيه الزنج وقتلوه وأسرّوا جماعة من غلمانهم. ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدي الجناني فمات وأوهن موته، ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبّى عسكره وبعث السفن في البحر الذي يصل إلى المنصورة، ثم صلى وابتهل بالدعاء، وقبّل ابنه أبا العباس إلى السور، واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولّوا منهزمين إلى الخنادق وراءه، فقاتلوه عندها واقتحمها عليهم كلّها، ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا، وأجلّوهم عن المدينة، وما اتصل بها، وهو مقدار فرسخ، وملكه الموفق وأفلت ابن جامع في نفر من أصحابه. وبلغ الطلاب في أثره إلى دجلة، وكثر القتل في الزنج والأسر، واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف، وأعطى ما وجد في المنصورة من الذخائر والأموال للأجناد، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة. ولما جاء جماعة من الزنج إلى الآجام اختفوا فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطم خنادقها وأقام سبعة عشر يوماً في ذلك ثم رجع إلى واسط.

حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها:

ثم إن الموفق عرض عساكره وأزاح عليهم وسار معه ابنه أبو العباس إلى مدينة

الخبث فأشرف عليها، ورأى من حصانتها بالأسوار والخنادق ووعر الطرق، وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه. ولما عاين الزنج عساكر الموفق دهشوا وقدم ابنه أبا العباس في السفن حتى ألصقها بالأسوار فرموه بالحجارة في المجانيق والمقاليع والأيدي، ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يحتسبوه. ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والملاحين نزعوا إلى الموفق فقبلهم وأحسن إليهم، فتابع المستأمنون في النهر، فوكل الخبيث بفوهة النهر من منعهم وتعبى أهل السفن للحرب مع يهود قائد الخبيث، فزحف إليه أبو العباس في السفن وهزمه وقتل الكثير من أصحابه، ورجع فاستأمن إليه بعض تلك السفن النهرية وكثير من المقاتلة فأمّنهم وأقام شهراً لم يقاتلهم. ثم عيى عساكره منتصف شعبان في البر والبحر وكانوا نحواً، من خمسين ألفاً، وكان الزنج في نحو ثلثمائة ألف مقاتل، فأشرف عليهم ونادى بالأمان إلا للخبث، ورمى بالرقاع في السهام بالأمان، فجاء كثير منهم ولم يكن حرب. ثم رحل من مكانه ونزل قريباً من المختارة، ورتب المنازل من إنشاء السفن، وشرع في اختطاط مدينة لنزله سماها الموقّية. فأكمل بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الأموال والميرة إليها، وأغب الحرب شهراً فتتابعت الميرة إلى المدينة، ورحل إليها التجّار بصنوف البضائع، واستبحر فيها العمران ونفقت الأسواق، وجلبت صنوف الأشياء.

ثم أمر الموفق ابنه أبا العباس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثنى فيهم، فاستأمن إليه كثير منهم فأمّنهم ووصلهم، وأقام الموقّ أياماً يحاصر المحاربين ويصل المستأمنين، واعترض الزنج بعض الوفاد الجائبة بالميرة، فأمر بترتيب السفن على مخارج الأنهار، ووكل ابنه أبا العباس بحفظها، وجاءت طائفة من الزنج بعض الأيام إلى عسكر نصير يريدون الإيقاع به، فأوقع بهم وظفر ببعض القواد منهم، فقتل رشقاً بالسهام، وتتابع المستأمنة فبلغوا إلى آخر رمضان خمسين ألفاً.

ثم بعث الخبيث عسكراً من الزنج مع عليّ بن أبان ليأتوا من وراء الموفق إذا ناشبهم الحرب، ونمى إليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العباس فأوقع بهم، وحملت الأسرى والرؤوس في السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه، وظنّوا أنّ ذلك تمويه، فرميت الروس في المجانيق حتى عرفوها، فظهر منهم الجزع وتكررت الحرب في السفن بين أبي العباس وبين الزنج، وهو يظهر عليهم في جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم، فاشتد الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين، مثل محمد بن الحرث

القمي وأحمد اليربوعي. وكان من أشجع رجاله القمي منهم موكلًا بحفظ السور فأمنهم الموفق ووصلهم، وبعث الخبيث قائدين من أصحابه في عشرة آلاف ليأتوا البطيحة من ثلاثة وجوه، فيعبروا من تلك النواحي ويقطعوا الميرة عن الموفق. وبلغ الموفق خبرهم فبعث إليهم عسكرياً مع مولاه، ونزل فأوقع بهم وقتل وأسر، وأخذ منهم أربعمئة سفينة.

ولما تتابع خروج المستأمنة وكل الخبيث من يحفظها، وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قواده إلى الموفق يستأمنون، وأن يناشيهم الحرب ليجدوا السبيل إليه، فأرسل ابنه أبا العباس إلى نهر الغربي وبه علي بن أبان فاشتد الحرب، وظهر أبو العباس على بن أبان، وأمدّه الخبيث بأبن جامع ودامت الحرب عامة يومهم، وكان الظفر لأبي العباس، وسار إليه المستأمنة الذين واعدوه. وانصرف أبو العباس إلى مدينة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعاً فيهم لقتلهم، فتكاثروا عليه، ثم جاءه المدد من قبل أبيه فظهر عليهم. وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبا العباس من ورائه، وخفقت طبوله، فأنكشف أصحاب أبي العباس، ورجع منهزمة الزنج فأجبت جماعة من غلمان الموفق وعدة من أعلامهم، وحامى أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا، وقوي الزنج بهذه الواقعة، فأجمع الموفق العبور إلى مدينتهم بعسكره.

فعبى الناس لذلك من الغداة آخر ذي الحجة، واستكثر من المعابر والسفن وقصدوا حصن أو كان بالمدينة، فيها أنكلاي بن الخبيث وابن جامع وابن أبان، وعليه المجانيق والآلات، فأمر غلمانه بالدنو منه فخاموا لاعتراض نهر الأتراك بينهم وبينه، فصاح بهم فقطعوا النهر سبجاً، وتناولوا الركن بالسلح يهدمونّه، ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفق وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقاً عظيماً. وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الأخرى وابن أبان قبالتة، فهزّمه ووصل أصحاب أبي العباس إلى السور فثلموه ودخلوا، ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى ردهم إلى مواقعهم.

ثم توافى الفعلة فثلموا السور في مواضع ونصبوا على الخندق جسراً عبر عليه المقاتلة، فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم إلى دير ابن سمعان فملكه أصحاب الموفق وأحرقوه، وقاتلهم الزنج هناك. ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث، فركب من هنالك، وانهزم عنه أصحابه وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس، وتأخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين في السفن واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن. وكان يهود بإزاء مسرور البلخي فنال من أصحابه واستأمن

بعض المنهزمين من الزنج والأعراب يعثوا بذلك من عبادان والبصرة، وكان منهم قائده ربحان أبو صالح المعري فأمّنهم الموفق وأحسن إليهم وضم ربحان إلى أبي العبّاس. وخرج في المحرّم إلى الموفق من قوّد الخبيث وثقافته جعفر بن إبراهيم المعروف بالسّخان، فأحسن إليه الموفق وحمله في بعض السفن إلى قصر الخبيث، فوقف وكلم الزّنج في ذلك وأقام الموفق أياماً استجم فيها أصحابه، فلما كان منتصف ربيع الثاني قصد مدينة، الخبيث وفرّق القوّد على جهاتها ومعهم النّقابون للّسور، ومن ورائهم الرّماة يحمونهم. وتقدم إليهم أن لا يدخلوا بعد الهزم إلّا بإذنه، فوصلوا إلى السور وثلّموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم، وبلغوا أبعد مما وصلوا إليه بالأمس. ثم تراجع الزنج وحاربوا من المكّامن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد أن نال منهم الزنج، ورجع الموفق إلى مدينته، ولام أصحابه على تقدّمهم بغير إذنه، ثم بلغ الموفق أن بعض الأعراب من بني تميم يجلبون الميرة إلى الزنج فبعث إليهم عسكرياً أثخنوا فيهم قتلاً وأسراً، وجيء بالأسرى فقتلهم، وأوعز إلى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية، وجهدهم الحصار وكثر المستأمنه وافترق كثير من الزنج في القرى والأمصار البعيدة، وبث الموفق دعاته فيهم، ومن أبى قتلوه وعرض المستأمنين وأحسن إليهم ليستميلهم وتابع الموفق وابنه قتال الزنج، وقتل بهبود بن عبّاد الواحد من قوّد الخبيث في تلك الحروب، فكان قتله من أعظم الفتوح، وكان قتله في السفن البحرية ينصب فيها أعلاماً كأعلام الموفق، ويخيل أطراف العسكر فيصيب منهم. وأفلت في بعض الأيام من يد أبي العبّاس بعد أن كان حصل في قبضته، ثم خيل أخرى لبعض السفن طامعاً فيها فحاربوه وطعنه بعض الغلمان منها فسقط في الماء، وأخذ أصحابه فمات بين أيديهم، وخلع الموفق على الغلام الذي طعنه وعلى أهل السفينة. ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضربهم على ما له، فاستفسد قلوبهم، وهرب كثير منهم إلى الموفق، فوصلهم ونادى بالأمان لبقيتهم. ثم اعتزم على العبور إلى الزنج من الجانب الغربي وكانت طرقه ملتفة بالنخيل، فأمر بقطعها وأدار الخنادق على معسكره حذراً من البيات. ثم صعب على الموفق القتال من الجانب الغربي لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه، وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلّة خبرتهم بها، فصرف قصده إلى هدم أسوارهم، وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلمى، وباشّر الحرب بنفسه، واشتدّ القتال وكثرت

القتلى في الجانبين وفشت الجراح، وكانت في النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال، ويأتون أصحاب الموفق من ورائهم، فأمر بهدمهما فهدمتا، ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا إلى دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه. ثم تقدّموا إلى الجامع فخربوه وجاؤا بمنبره إلى الموفق بعد أن استمات الزنج دونه فلم يغنوا به. ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح، ثم أصاب الموفق في ذلك اليوم سهم في صدره، وذلك لخمس بقين من جمادى سنة تسع وستين، فعاد إلى عسكره. ثم صاح الحرب تقوية لقلوب الناس. ثم لزم الفراش واضطرب العسكر، واشير عليه بالذهاب إلى بغداد فأبى، فاحتجب عن الناس ثلاثة أشهر حتى اندمل جرحه. ثم ركب إلى الحرب فوجد الزنج قد سدوا ما تشلم من الأسوار، فأمر بهدمها كلها، واتصل القتال مما يلي نهر سلمى كما كان، والزنج يظنون أنهم لا يأتون إلا منها فركب يوماً لقتالهم، وبعث السفن أسفل نهر أبي الخصيب، فانتهوا إلى قصر من قصور الزنج فأحرقوه وانتهبوا ما فيه، واستنقذوا كثيراً من الساكن فيه. ورجع الموفق آخر يومه ظافراً. ثم بكر لحربهم فوصلت المقدمات دار أنكلي بن الخبيث وهي متصلة بدار أبيه. وأشار ابن أبان بإجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدي العساكر، وأمر الموفق بطم الخنادق والأنهار، ورام إحراق قصره وقصده من دجلة فمنع من ذلك كثرة الحماة عنه، فأمر أن تسقف السفن بالأخشاب وتطلى بالأدوية المانعة من الإحراق. ورتب فيها أنجاد أصحابه، وباتوا على أهبة الزحف من الغد. وجاء كاتب الخبيث وهو محمد بن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأمناً، وبكروا إلى الحرب وأمر الموفق ابنه أبا العباس بإحراق منازل القواد المتصلة بقصر الخبيث ليشملهم عن حمايته، وقصدت السفن المطلية قصر الخبيث فأحرقوا الرواشن والأبنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار على السفن فلم تؤثر فيها. ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن، فلما جاء الدعاة إلى القصر أحرقوا بيوتاً كانت تشرع على دجلة، واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها. واستولى أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة من النساء، وأحرق قصر أنكلي ابنه، وجرحا، وعاد الموفق عشاء يومه مظفراً. ثم بكر من الغد للقتال وأمر نصيراً قائد السفن بقصد القنطرة التي كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب دون القنطرة التي كان اتخذها، وفرق العسكر في الجهات فدخل نصير في أول المدّ ولصق

بالقنطرة واتصل الشد من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حسر الماء عنها، وفطن لها الزنج فقصدوها فالقى الملاحون أنفسهم في الماء، وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشدّ قتال. ثم انهزم وسقط في الحريق فاحترق، ثم خلص بعد الجهد. وانصرف الموفق سالماً وأصابه مرض المفاصل واتصل به إلى شعبان من سنته، فأمسك في هذه المدة عن الحرب حتى أبلى فأعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها، وجعل أمامها سكرّاً من الحجارة ليضيق المدخل على السفن، فبعث الموفق طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب وطائفة من بحريه ومعهم الفعلة لقطع القنطرة، وجعل أمامها سفناً مملوءة من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحترق الجسر، وفرّق جنده على القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوال، وتقدموا إلى الجسر ولقيهم أنكلاي بن الخبيث وابن أبان وابن جامع، وحاموا على القنطرة لعلمهم بما في قطعها من المضرة عليهم، ودامت الحرب عليها إلى العشي، ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها ونقضها النجارون ونقضوا الأثقاب التي دونها وأدخلوا السفن بالقصب وأضرموها ناراً، ووافت القنطرة فأحرقتها ووصل النجارون بذلك إلى ما أرادوا. وسهل سبيل السفن في النهر، وقتل من الزنج خلق واستأمن آخرون، وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن أصحابه إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، ونقل أسواقه إليه وتبين ضعفه فانقطعت عنه الميرة وفقدت الأقوات وغلت حتى أكل بعضهم بعضاً وأجمع الموفق أن يحرق الجانب الشرقي كما أحرق الغربي. فقصد دار الهمذان وكان حصيناً وعليه الآلات، فلما انتهى إليها تعذر الصعود لعلو السور فرموا بالكلايب ونشبت في أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت، فانهزم المقاتلة وصعد النفاطون فأحرقوا ما كان عليها من الآلة، ونهبوا الأثاث والمتاع. واتصل الحريق بما حولها من الدور، واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث فأمنهم، ودلّوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الأول تسمى المباركة، وبها التجّار الذين بهم قوامهم، فقصدتها لإحراقها وحاربه الزنج بعدها، وأضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقي الحريق عامة اليوم. ثم رجع الموفق، ثم انتقل التجّار بأمّعتهم وأموالهم إلى أعلى المدينة، ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتغوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي، واحتفر خندقاً عريضاً حصّنه به منازل أصحابه على النهر الغربي. ثم خرق الموفق باقي السور إلى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت

عليه، وكان للخيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه، وقد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيعوقونهم فأجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برأً وبحراً وفرّقهم على سائر جهاته وجهات الخيـث، وأمد الخيـث الحصن بالمهلبـيّ وابن جامع، فلم يغنوا عنه وانهزموا وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقاً، وخلصوا من الحصن كثيراً من النساء والصبيان، ورجع الموفق إلى عسكره طافراً.

استيلاء الموفق على الجهة الغربية:

ولما هدم الموفق سور دار الخيـث أمر بتوسعة الطرق للحرب، وأحرق الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضاً، فكان في إحراقه حرب عظيمة. وأعدت لذلك سفينة ملئت قصباً وجعل فيها النفط، وأرسلت في قوة المدد، فتبادر الزنوج إليها وغرقوها. فركب الموفق إلى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدهم من غربي النهر وشرقية إلى أن انتهوا إلى الجسر من غربية وعليه أنكلياي بن الخيـث وابن جامع فأحرقوه، وفعال مثل ذلك من الجانب الشرقي، فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لإنشاء السفن وسجن كان هناك للخيـث. وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي، واستأمن كثير من قواده فأمنهم وأخرجوا أرسالاً وخرج قاضيه هارباً، ووكل بالجسر الثاني من يحفظه. وأمر الموفق ابنه أبا العبّاس بأن يتجهز لإحراقه فزحف في إجماد غلمانـه ومعه الفعلة والآلات.

وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العبّاس أنكلياي وابن جامع، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الخيـث نفسه والمهلبـيّ. وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وأنكلياي واضرمت النار في الجسر، ولما وافيـاه وهو مضطرم ناراً ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد أن غرق من أصحابهما خلق، واحترق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافترق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخيـث واستنفذ من كان في حبسه من النسوة والرجال. وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن إلى دجلة، ونهبها أصحاب الموفق، واستأمن أنكلياي بن الخيـث وعلم أبوه فثناه عن ذلك. واستأمن ابن سليمان بن موسى الشعراني من رؤساء قواده فأجيب بعد توقف. ولما خرج تبعه أصحاب الخيـث فقاتلهم ووصل إلى الموفق فأحسن إليه، واقتفى أثره في ذلك شبـل بن سالم من قواده، وعظم على الخيـث وأوليائه استئمان هؤلاء، وصار شبـل بن سالم يخرج في السرايا إلى عسكر الخيـث ويكثر النكاية فيهم.

استيلاء الموفق علي الجهة الشرقية:

وفي خلال هذه الحروب واتصالها مرّن أصحاب الموفق على تخلل تلك المسالك والشعاب مع تضايقها ووعرها، وأجمع الموفق على قصد الجانب الشرقي في نهر أبي الخصيب، وندب لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم، ووعدهم بالإحسان والزيادة فأبوا وسألوه الإقالة فأبى لتتميز مناصحتهم. وجمع سفن دجلة من كل جانب، وكان فيها عشرة آلاف ملاح من المرتزقة. وأمر ابنه أبا العبّاس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها، فسار إلى دار المهلبى وهو في مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانها، وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير حفا في النهر يشاهد أحوالهم، وبكر الموفق لثمان خلون من ذي القعدة زاحفاً للحرب، فاقتتلوا مليّاً وصبروا. ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق واسر آخرون فقتلوا، وقصد الموفق جمعه دار الخبيث، وقد جمع الخبيث أصحابه للمدافعة فلم يغنوا عنه وانهزموا وأسلموها فنهبها أصحاب الموفق وسبوا حريمه وبنيه وكانوا عشرين. ونجا إلى دار المهلبى ونهبها واشتغل أصحابهم جميعاً بنقل الغنائم إلى السفن، فأطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس إلى مواقعهم. ثم صدق الموفق الحملة عشي النهار فهزم الزنج إلى دار الخبيث ورجع الناس إلى معسكره، ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في القدوم عليه فأخر القتال إلى حضوره.

مقتل صاحب الزنج:

ولما وصل غلام ابن طولون في ثالث المحرم من سنة سبعين وجاء في جيش عظيم، فأحسن إليهم الموفق وأجرى لهم الأرزاق على مراتبهم، وأمره بالتأهب لقتال الخبيث. وقد كان لَمّا غلب على نهر أبي الخصيب وقطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث فيه سكرّاً وضيق جرية الماء ليمنع السفن من دخوله إذا حضر، ويتعذر خروجها أمامه. وبقي جريه لا يتهياً إلا بإزالة ذلك السكر. فحاول ذلك مدة والزنج يدافعون عنه. ودفع الموفق لذلك لؤلؤاً في أصحابه ليتمرنوا على حرب الزنج في تلك المسالك والطرق فأحسنوا البلاء فيها ووصلهم، وألح على العسكر، وهو كل يوم يقتل مقاتلهم ويحرق مساكنهم ويقتل المستأمنة منهم. وقد كان بقي بالجهة الغربية بقية من أبنية ومزارع، وبها جماعة يحفظونها. فسار اليهم أبو العبّاس وأوقع بهم، ولم

يسلم منهم إلا الشريد. ثم غلبهم على السكر وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدم ابنه أبا العباس إلى دار المهلب وأضاف المستأمنة إلى شبل بن سالم، وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نفخ البوق، ونصب علمه الأسود على دار الكرمانى. ثم صمد إليهم وزحف الناس في البر والنهر، ونفخت الأبواق، وذلك لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين واشتد القتال وانهزم الزنج ومات منهم قتلاً وغرقاً ما لا يحصى واستولى الموفق على المدينة واستنقذوا الأسرى وأسروا الخليل وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما، ومضى الخبيث ومعه ابنه أنكلاي وابن جامع، وقواد من الزنج إلى موضع بنهر السفيناني، كانوا أعدوه ملجأ إذا غلب على المدينة، واتبعه الموفق في السفن ولؤلؤ في البر. ثم اقتحم النهر بفرسه واتبعه أصحابه فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان واعتصموا بجبل وراءه، ورجع لؤلؤ عنهم وشكره الموفق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح.

وجمع الموفق أصحابه فوبخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا بأنهم ظنوا انصرافه. ثم تحالفوا على الإقدام والثبات حتى يظفروا وسألوه أن ترد المعابر التي يعبرون فيها ليستमित الناس في حرب عدوهم، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبى المراكب وبعثهم إلى المراكز ورد المعابر التي عبروا فيها، وتقدم سرعان العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً وافترقوا كل ناحية. وثبت مع الخبيث لمة من أصحابه، فيهم المهلبى، وذهب ابنه أنكلاي وابن جامع وأتبع كلا منهم طائفة من العسكر بأمر أبي العباس بن الموفق. ثم أسر إبراهيم بن جعفر الهمذاني فاستوثقوا منه. ثم كر الخبيث والمنهزمون معه على من اتبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقعهم. ثم رجعوا ومضى الموفق في اتباع الخبيث إلى آخر نهر أبي الخصيب، فلقية غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار أنكلاي نحو الديناري ومعه المهلبى. وبعث الموفق أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبمن معهم، وكانوا زهاء خمسة آلاف، فاستوثق منهم ثم استأمن إليه ورمونة، وكان عند البطيحة قد اعتصم بمغايض وآجام هنالك يخيف السابلة ويغير على تلك النواحي، وعلى الواردين إلى مدينة الموفق. فلما علم بموت الخبيث سقط في يده وبعث يستأمن، فأمنه الموفق فحسنت توبته ورد الغصوبات إلى أهلها ظاهراً

، وأمر الموفق بالنداء برجوع الزنج إلى موطنهم فرجعوا وأقام الموفق بمدينة الموفقية ليأمن الناس بمقامه وولى على البصرة والأبلة وكور دجلة محمد بن حماد، وقدم ابنه أبا العباس إلى بغداد فدخلها منتصف جمادى من سنة سبعين، وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين، وقتله أول صفر سنة سبعين لأربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته.

ولاية ابن كنداج على الموصل:

لما سار أحمد بن موسى بن بغا إلى الجزيرة وولى موسى بن أتمامش على ديار ربيعة فتغير لذلك إسحق بن كنداج، وفارق عسكره وأوقع بالأكراد اليعقوبية وانتهب أموالهم ثم لقي ابن مساور الخارجي فقتله، وسار إلى الموصل، فقاطع أهلها على مال، وكان عليهم علي بن داود قائداً، فدفعه وسار ابن كنداج إليه، فخرج علي بن داود واجتمع حمدان بن حمدون الثعلبي، وإسحق بن عمر بن أيوب بن الخطاب الثعلبي العدوي، فكانوا خمسة عشر، وجاءهم علي بن داود فلقبهم إسحق في ثلاثة آلاف فهزمهم بدسياسة من أهل مسيرتهم، وسار حمدان وعلي بن داود إلى نيسابور وابن أيوب إلى نصيبين، وابن كنداج في اتباعه، فسار عنها واستجار بغيثي ابن الشيخ الشيباني وهو بآمد وأبي العز مرسى بن زرارة وهو عامل أردن، فأنجدها وبعث المعتمد إلى إسحق بن كنداج بولاية الموصل، فدخلها وأرسل إليه ابن الشيخ وابن زرارة مائة ألف دينار على أن يقرهم على أعمالهم فأبى، فاجتمعوا على حربه فرجع إلى إجابتهم. ثم حاربوه سنة سبع وستين. واجتمع لحربه إسحق بن أيوب وغيثي ابن الشيخ وأبو العز بن حمدان بن حمدون في ربيعة وثعلب وبكر واليمن، فهزمهم ابن كنداج إلى نصيبين ثم إلى آمد، وحرر عسكر الحصار ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب.

حروب الخوارج بالموصل:

كان مساور الخارجي قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوارسج،

وأراد أصحابه ولاية محمد بن حرداد بشهرزور، فامتنع وبايعوا أيوب بن حيان المعروف بالغلام، فقتل فبايعوا هرون بن عَبْدَ الله البجلي وكثر أتباعه، واستولى على بلد الموصل، وخرج عليه من أصحابه محمد بن حرداد، وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الأرض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لئلا يفر من الحرب، فنزل واسط وجاء وجوه أهل الموصل فسار إليهم وهرون غائب في الأحشاد، فبادر إليه واقتتلا وانهزم هرون وقتل من أصحابه نحو مائتين. وقصد بني ثعلب مستنجداً بهم فأنجدوه وسار معه حمدان بن حمدون، ودخل معه الموصل، ودخل ابن حرداد واستمال هرون أصحابه، ورجع إلى الحديث، ولم يبق مع ابن حرداد إلا قليل من الأكراد فمالوا إلى هرون بالموصل، فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالأكراد الجلالية، وكثر أتباعه وغلب على القرى والرساتيق، وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المصعدة والمنحدرة، ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغلات، واستقام أمره. ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ست وسبعين، واستنجد بحمدان بن حمدون فجاءه بنفسه، وسار إلى نهر الخازن، وانهزمت طليعتهم وانهزموا بانهزامها، وجاء بنو شيبان إلى فسا فانجفل أهلها وأقام هرون وأصحابه بالحديثة.

أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستاني:

لَمَّا قَتَلَ أَحْمَدُ الْخَجِسْتَانِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى رَافِعِ بْنِ هَرْتَمَةَ مِنْ قَوَادِمُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ، وَكَانَ رَافِعٌ هَذَا لَمَّا اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ الصَّفَارُ عَلَى نَيْسَابُورَ، وَزَالَ بَنُو طَاهِرٍ، صَارَ رَافِعٌ فِي جَمَلَتِهِ، وَصَحْبِهِ إِلَى سَجِسْتَانَ، ثُمَّ أَقْصَاهُ عَنْ خِدْمَتِهِ وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِنَوَاحِي جِيٍّ، حَتَّى اسْتَعْدَمَهُ الْخَجِسْتَانِيَّ وَجَعَلَهُ صَاحِبَ جَيْشِهِ. فَلَمَّا قَتَلَ الْخَجِسْتَانِيَّ اجْتَمَعَ الْجَيْشُ عَلَيْهِ بِهَرَاةَ وَأَمْرُوهُ، وَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ فَحَاصِرُهَا أَبَا طَلْحَةَ بْنِ شَرْكَبَ، وَقَدْ كَانَ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنْ جَرَجَانَ، فَضِيقٌ عَلَيْهِ الْمَخْنَقُ، فَفَارَقَهَا أَبُو طَلْحَةَ إِلَى مَرُو، وَوَلَّى عَلَى هَرَاةَ ابْنُ الْمَهْدِيِّ، وَخَطَبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ بِمَرُو وَهَرَاةَ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ فَهَزَمَهُ وَغَلَبَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى

مرو محمد بن سهل بن هاشم، وخرج أبو طلحة إلى مكمد، واستعان بإسماعيل بن أحمد الساماني، فأمدّه بعسكر وأخرج محمد بن سهل، وخطب بها لعمر بن الليث سنة إحدى وسبعين. ثم قلد الموفق تلك السنة أعمال خراسان لمحمد بن طاهر، وهو ببغداد، فاستخلف عليها رافع بن الليث وأقر على ما وراء النهر نصر بن أحمد، ووردت كتب الموفق بعزل عمرو بن الليث ولعنه، فسار رافع إلى هراة وقد كان بها محمد بن المهدي خليفة أبي طلحة، فثار عليه يوسف بن معبد. فلما جاء رافع استأمن إليه فأمنه واستعمل على هراة مهدي بن محسن. ثم سار رافع إلى أبي طلحة بمرّو بعد أن استمد إسماعيل بن أحمد وأمدّه بنفسه في أربعة آلاف فارس، واستقدم علي بن محسن المروروزي فقدم عليه في عسكره وساروا جميعاً إلى أبي طلحة بمرّو سنة إثنين وسبعين، فهزموه وعاد إسماعيل إلى بخارى ولحق بأبي طلحة وبها مهدي، فاجتمع معه على مخالفة رافع فهزماه رافع ولحق أبو طلحة بعمرو بن الليث. وقبض على مهدي سنة إثنين وسبعين ثم خلى سبيله، وسار رافع إلى خوارزم فحبى أموالها ورجع إلى نيسابور.

مغاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من

الفتنة لأجل ذلك:

كان الموفق حدث بينه وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله، وبعث موسى بن بغا في العساكر إليه سنة إثنين وستين فأقام بالرقّة عشرة أشهر، واختلف عليه العسكر فرجع. وكان الموفق مستبداً على أخيه المعتمد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكفاية والغناء، إلا أنه كان المعتمد يتأفف من الحجر، وكتب إلى أحمد بن طولون في السر يشكو ذلك وأشار عليه باللاحاق إليه بمصر لينصره، وبعث عسكراً إلى الرقة في انتظاره وكان الموفق مشغولاً بحرب الزنج، فسار المعتمد منتصف سنة تسع وستين في القوادر مظهرّاً أنه يتصيد، ثم سار إلى أعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كنداج وكتب صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق إلى

إسحق برده عن طريقه، والقبض على من معه من القواد. فلما وصل المعتمد إلى عمله أظهر إسحق طاعته، فارتحل في خدمته إلى أول عمل ابن طولون. ثم اجتمع بالمعتمد والقواد وفيهم نيزك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعزلهم في المسير إلى ابن طولون والمقام تحت يده، وطال الكلام بينهم ملياً. ثم دعاهم إلى خيمته للمناظرة في ذلك أدباً مع المعتمد، وقيدهم وجاء إلى المعتمد فعدله في المسير عن دار خلافته ومغاضبة أخيه، وهو في دفاع عدوه ومن يريد خراب ملكه، وحمل الجميع إلى سامرا وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط إسمه من الطرز، وغضب الموفق بسبب ذلك على أحمد بن طولون، وحمل المعتمد على أن يشار بلعنه على المنابر. وولى إسحق بن كنداج على أعماله وفوض إليه من باب الشماسية إلى أفريقية، وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملاً له على حمص وحلب وقنسرين وديار مصر من الجزيرة. وكان منزله بالرقّة، فانتقض عليه في هذه السنة، وسار إلى بالس فنهبا، وكتب إلى الموفق فمر بفرقيسيا وبها ابن صفوان العقيلي، فحاربه وغلبه عليها وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق. ووصل إلى الموفق في عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فأكرمه الموفق وأحسن هو الغناء في تلك الحرب. ثم بعث ابن طولون في تلك السنة جيشه إلى مكة لإقامة الموسم، وعامل مكة هرون بن محمد ففارقها خوفاً منهم، وبعث الموفق جعفرأ في عسكر فقوي بهم هرون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار. وقرئ الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون، وانقلب أهل مصر إلى بلدهم آمينين. ولم يزل لؤلؤ في خدمة الموفق إلى أن قبض عليه سنة ثلاث وسبعين، وصادره على أربعمئة ألف وأدبر أمره ثم، ثم عاد إلى مصر آخر أيام هرون بن حماديه.

وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج إلى الشام:

وفي سنة سبعين انتقض بازمان الخادم بطرسوس وقبض على نائبه، وسار إليه أحمد بن طولون في العساكر وحاصروه فامتنع عليه، فرجع إلى أنطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولايته على مصر وولي بعده ابنه خمارويه،

وانتقضت عليه دمشق فبعث إليها العساكر وعادت إلى طاعته. وكان يومئذ بالموصل والجزيرة إسحق بن كنداج وعلى الأنبار والرحبة وطريق الفرات محمد بن أبي الساج، فكاتبوا الموفق في المسير إلى الشام واستمداه، فأذن لهما ووعدهما بالمدد، فسارا وملكما ما يجاورهما مَرَّ بلاده، واستولى إسحق على أنطاكية وحلب وحمص، وكاتبه نائب دمشق، واجتمع الخلاف على خمارويه فسار إليه فهرب إلى شيزر وهي في طاعة خمارويه، ودمشق. وجاء أبو العباس بن الموفق وهو المعتضد من بغداد بالعساكر فكبس شيزر وقتل من جند ابن طولون مقتلة عظيمة ولحق فلهم بدمشق وأبو العباس في اتباعهم، فجلوا عنها وملكها في شعبان سنة إحدى وسبعين. ورجعت عساكر خمارويه إلى الرملة فأقاموا بها وزحف إسحاق بن كنداج إلى الرقة وعليها وعلى الثغور والعواصم ابن دعاص من قبل خمارويه، فقاتله وكان الظهور لإسحاق. ثم زحف أبو العباس المعتضد من دمشق إلى الرملة، وسار خمارويه من مصر واجتمع بعساكره في الرملة على ماء الطواحين. وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبي الساج ونسبهما إلى الجبن في انتظارهما إياه في محاربة خمارويه.

وعبى المعتضد عساكره ولقي خمارويه وقد أكنن له فانهزم خمارويه أولا وملك المعتضد خيامه، وشغل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد إلى دمشق، فلم يفتح له أهلها، فراح إلى طرسوس وأقام العسكران يقتتلان دون أمير، وأقام أصحاب خمارويه عليهم أخاه سعدا مكانه، وذهبوا إلى الشام فملكوه أجمع وأذهبوا منه دعوة الموفق وابنه. وبلغ الخبر إلى خمارويه فسر وأطلق الأسرى الذين كانوا معه. ثم سار أهل طرسوس بأبي العباس فأخرجوه، وسار إلى بغداد وولوا عليهم مازيار فاستبد بها. ثم دعا لخمارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحا كثيرا فدعا له ثم بعث إليه بخمسين ألف دينار.

وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه:

ثم توفي الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته، وولي مكانه أخوه وكان على قزوين أتكوتكين، فسار إلى الري في أربعة

آلاف فارس، وسار إليه محمد بن زيد في عالم كثير من الديلم والخراسانية، والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر ألفان، وغنم أتكوتكين معسكراً وملك الري وأغرم أهلها مائة ألف دينار، وفرق عماله عليها، وسار محمد بن زيد إلى جرجان، ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان، وولى عليها محمد بن طاهر، واستخلف محمد بن رافع بن هرثمة، وسار سنة خمس وسبعين إلى جرجان، وهرب عنها ليلاً إلى استراباد فحاصره رافع فيها سنتين حتى أجهدته الحصار ففر عنها ليلاً إلى سارية، فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارن إلى رافع بطبرستان فأمنه، وبعث إلى سالوس محمد بن هرون نائباً عنه وأتاه بها علي بن كاني مستأماً. ثم جاءه محمد وحاصرها بسالوس، وانقطعت أخبارهما عن نافع. ثم جاءه الخبر بحصارهما فسار إليهما، فارتحل محمد بن زيد إلى أرض الديلم فدخل رافع خلفه وأتخن فيها نهباً وتخريباً إلى حدود قزوین، وعاد إلى الري إلى أن توفي المعتمد سنة تسع وتسعين.

فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون:

كان ابن أبي الساج في أعماله بقنسرین والفرات والرجبة ينافس إسحق وهو على الجزيرة، ويريد التقدم عليه، فحدثت لذلك منهما فتنة. فخطب ابن أبي الساج لخماریه بن طولون. وبعث ابنه ديوداد رهينة إليه فبعث إليه خماریه أموالاً جمّة وسار إلى الشام، واجتمع بابن أبي الساج ببالس، ثم عبر ابن أبي الساج الفرات إلى الرقة، وهزم إسحق بن كنداج، واستولى على أعماله. وعبر خماریه ونزل الرقة. ومضى إسحق إلى قلعة ماردين وحاصره ابن أبي الساج بها، ثم أفرج عنها وسار إلى سنجار لقتال بعض الأعراب، فسار ابن كنداج من ماردين إلى الموصل، فاعترضه ابن أبي الساج، وهزمه، فعاد إلى ماردين، واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل، وخطب لخماریه ثم لنفسه بعده، وبعث غلامه فتحاً إلى أعمال الموصل لجباية الخراج. وكان اليعقوبية من السراة قريباً منه فهادنهم، ثم

غدر بهم فكبسهم، وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة، فحملوا على أصحاب فتح فاستلحموهم. ثم انتقض ابن أبي الساج واستبيح عسكره. وكان له بحمص مخلف من أثقاله، فقدم خمارويه طائفة من العسكر إليها، فاستولوا على ما فيها، ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها، فسار إلى حلب ثم إلى الرقة وخمارويه في اتباعه، فعبر الفرات إلى الموصل، وجاء خمارويه إلى بلد وأقام بها، وسار ابن أبي الساج إلى الحُدَيْثَة. وكان إسحق بن كنداج قد لحق بخمارويه من ماردين، فبعث معه جيشاً وجماعة من القواد، وسار في طلب ابن أبي الساج، وقد عبر دجلة، فجمع ابن كنداج السفن ليوطىء جسراً للعبور. وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت إلى الموصل، فوصلها الرابعة، وسار ابن كنداج في اتباعه، فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبي الساج في ألفين، فصبر واشتد القتال، وانهزم ابن كنداج وهو في عشرين ألفاً. فخلص إلى الرقة ومحمد بن أبي الساج في اتباعه. وكتب إلى الموفق يستأذنه في عبور الفرات إلى بلاد خمارويه بالشام، فأمره بالتوقف إلى وصول المدد من عنده، ومضى ابن كنداج إلى خمارويه فجاء بجيوشه إلى الفرات، وتوافق مع ابن أبي الساج والفرات بينهما. ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبي الساج فانهزموا إلى الرقة، فسار ابن أبي الساج عن الرقة إلى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها، فأكرمه الموفق ووصله واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة، وأقام بها وولى الموفق محمد بن أبي الساج على أذربيجان، فسار إليها فخرج إليه عَبْدُ اللَّهِ بن الحسين الهمداني عامل مراغة ليصدّه فهزمه ابن أبي الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله، واستقرّ ابن أبي الساج في عمله بأذربيجان.

أخبار عمرو بن الليث :

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولّاه الموفق خراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد، كما كان أخوه، وقد ذكرنا ذلك قبل. وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين، فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفرت جيوشه بمحمد وأسرته وحبسه بكرمان، فأقام بها ثم بعث إلى أحمد بن عَبْدُ العزيز بن أبي دلف وهو بأصبهان يطلبه

بالمال. فبعث إليه بالأموال، وبعث عمرو إلى الموفق بثلاثمائة ألف دينار، وبخمسین منا من المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود، وثلاثمائة ثوب من الوشى ومن أنية الذهب والفضة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار. واستأذنه في غزو محمد بن عبيد الكردي رامهرمز فأذن له، فبعث قائداً من جيشه إليه فأسره وجاء به إلى عمرو، ثم عزل المعتمد سنة إحدى وستين عمرو بن الليث عما كان قلده من الأعمال، وأدخل إليه الحاج من أهلها عند منصرفهم من مكة، فأعلمهم بعزله، وأنه قد ولى على خراسان محمد بن طاهر، وأمر بلعن عمرو على المنابر. وجهز مخلد بن صاعد إلى فارس لحرب عمرو، واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة. وكتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بقتاله، وبعث إليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو، وكان في خمسة عشر ألف مقاتل، فانهزم عمرو وخرج قائده الديلمي، وقتل مائة من أعيانهم وأسروا ثلاثة آلاف، فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى. ثم زحف الموفق سنة أربع وسبعين إلى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمداً إلى أرجان في العساكر، وعلى مقدمته أبو طلحة بن شركب وعباس بن إسحق إلى سيراف، واستأمن أبو طلحة إلى الموفق ففت ذلك في عضد عمرو، وعاد إلى كرمان واستتراب الموفق بأبي طلحة فقبض عليه قريباً من شيراز، وجعل ماله لابنه أبي العباس المعتضد، وسار في طلب عمرو فخرج من كرمان إلى سجستان. ومات ابنه محمد بالمفازة، ورجع عنه الموفق، وسار رافع بن الليث من خراسان، وغلب محمد بن زيد على طبرستان كما قدمناه، (وقدم عليه هنالك علي بن الليث هو وابناه المعدل والليث (بن حسن أخيه علي بكرمان، ثم قتله رافع سنة ثمان وستين.)

مسير الموفق إلى أصبهان والجبل:

كان كاتب أتكوتكين أنهى إلى المعتضد أن له مالاً عظيماً ببلاد الجبل، فتوجّه لذلك فلم يجد شيئاً. ثم سار إلى الكرخ ثم إلى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف،

فتنحى أحمد عن البلد بعسكره، وترك داره بفرشها لنزل الموفق عند قدومه، ثم رجع الموفق إلى بغداد.

قبض الموفق على ابنه أبي العباس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه

أبي العباس بالأمر بعده:

كان الموفق بعد رجوعه من أصبهان نزل واسط، ثم عاد إلى بغداد، وترك المعتمد بالمدائن، وأمر ابنه أبا العباس وهو المعتضد بالمشير إلى بعض الوجوه فأبى، فأمر بحبسه، ووكّل به. وركب القوّاد من أصحابه واضطربت بغداد فركب الموفق إلى الميدان وسكن الناس وقال: إني احتجت إلى تقويم ابني فقومته فأنصرف الناس، وذلك سنة ست وسبعين، وكان عند منصرفه من الجبل قد أشدّ به وجع النقرس، ولم يقدر على الركوب، فكان يحمل في المحقّة، ووصل إلى داره في صفر من سنة سبع، وطال مرضه وبعث كاتبه أبا الصقر ابن بلبل إلى الميدان، فجاء بالمعتمد وأولاده وأنزله بداره، ولم يأت دار الموفق، فارتأب الأولياء لذلك، وعمد غلمان أبي العباس فكسروا الأقفال المغلقة عليه، وأخرجوه وأقعدوه عند رأس أبيه وهو يجود بنفسه، فلما فتح عينه قربته وأدناه وجمع أبو الصقر عنده القواد والجند. ثم تسامع الناس أن الموفق حي فتسللوا عن أبي الصقر وأولهم محمد بن أبي الساج، فلم يسع أبا الصقر إلا الحضور بدار الموفق، فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر أنه هرب بمال الموفق إلى المعتمد، فنهبوا داره، وأخرجت نساؤه حفاة عراة، ونهب ما يجاوره من الدور، وفتقت السجون، ثم خلع الموفق على ابنه أبي العباس وأبي الصقر، وركب إلى منزلهما وولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة. ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمانى وسبعين ودفن بالرصافة، واجتمع القوّاد فبايعوا ابنه أبا العباس المعتضد بالله، واجتمع عليه أصحاب أبيه ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه، وانتهت منازلهم، وولى عبدالله بن سليمان بن وهب الوزارة، وبعث محمد بن أبي الساج إلى واسط ليرد غلامه وصيفاً إلى بغداد فأبى وصيف وسار إلى السوس فأقام بها.

القرامطة

ابتداء أمر القرامطة

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلاً ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد، وكان يدعى قرمط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كرميطة فعرب، وقيل بل إسمه حمدان ولقبه قرمط. يقال وزعم أنه داعية لأهل البيت للمنتظر منهم. واتبعه العباس فقبض عليه الهيصم عامل الكوفة وحبسه، ففر من حبسه وزعم أن الإغلاق لا يمنعه. ثم زعم أنه الذي بشره أحمد بن محمد بن الحنفية، وجاء بكتاب تناقله القرامطة، فيه بعد البسملة: يقول الفرّح بن عثمان من قرية نصرانة أنه داعية المسيح وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل. وإن المسيح تصور له في جسم إنسان فقال له إنك الداعية وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس، وعرفّه أنّ الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان بالتكبير في افتتاحه، وشهادة التوحيد مرتين، ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم، ثم لأحمد بن محمد بن الحنفية ويقرأ الاستفتاح في كل ركعة وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية، والقبلة بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين، ولا يعمل فيه شيء. والسورة التي تقرأ فيها: الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لأوليائه بأوليائه، قل إنّ الأهلّة مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سيّلي، اتقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحتتي واختباري ألقيته في جنتي وفي نعمتي، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهاناً في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت على السنة رسلي. فأنا الذي لم يعل جبار إلا وضعته وأذلّته، فبئس الذي أصر على أمره، ودام على جهالته. وقال: لن نبرج عليه عاكفين وبه موقنين أولئك فم الكافرون. ثم يركع ويقول في ركوعه مرتين: سبحان ربي وربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون، وفي سجوده: الله أعلى مرتين، الله أعظم مرة، والصوم مشروع يوم المهرجان، والنيروز. والنبذ حرام، والخمر حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء. ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخالب، ومن خالفهم

وحارب وجب قتله، وإن لم يحارب أخذت منه الجزية وانتهى. إلى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها بعضاً، وتشهد عليهم بالكذب، وهذا الفرع بن يحيى الذي ذكر هذا أول الكتاب أنه داعية القرامطة يلقب عندهم ذكرويه بن مهرويه. ويقال: إن ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج، وإنه سار إليه على الأمان، وقال له: إن ورائي مائة سيف، فتعال تتناظر فلعلنا نتفق وتتعاون. ثم تناظرا فاختلعا وانصرف قرمط عنه، وكان يسمى نفسه القائم بالحق. وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج.

فتنة طرسوس:

قد تقدّم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاة أحمد بن طولون، وأنه حاصره فامتنع عليه، وأنه راجع بعد طاعة ابنه خمارويه مما حمل إليه من الأموال والأمتعة والسلاح، فاستقام أمره بطرسوس مدة، وغزا سنة ثمان وسبعين بالصائفة مع أحمد الجعفي وحاصروا اسكندا فأصيب بحجر منجنيق، فرجع وهلك في طريقه، ودفن بطرسوس. وكان استخلف ابن عجيف فأقره خمارويه وأمدّه بالخيول والسلاح والمال، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه ابن محمد بن موسى بن طولون. ولما توفي الموفق نزع خادم من خواصه إسمه راغب إلى الشك، وطلب المقام بالثغر للجهاد فأذن له المعتضد، فسار إلى طرسوس وحط أثقاله بها وسار إلى لقاء خمارويه بدمشق فأكرمه وإستجلب أنسة، فطال مقامه وألهم أصحابه بطرسوس أنه قبض عليه، فأوصوا أهل البلد في ذلك فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يطلق لهم راغب، وبلغ الخبر إلى خمارويه فأطلقه فجاء إليهم ووبخهم على فعلهم، فأطلقوا محمد بن موسى، وسار عنهم إلى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف إلى ولايته.

فتنة أهل الموصل مع الخوارج:

قد تقدّم لنا أن هرون بن سليمان كان على الشراة من الخوارج، وكان بنو شيبان يقاتلونهم ويغيرون على الموصل. فلما كانت سنة تسع- وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على نينوى وغيرها من الأعمال، فاجتمع هرون الشاري في الخوارج، وحمدان

بن حمدون الثعلبي على مدافعتهم. وكان مع بني شيبان هرون بن سيما مولي أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني، بعثه محمد بن إسحق بن كنداجق والياً على الموصل عندما مات أبوه إسحق، وولي مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يرضه أهل الموصل وطردوه، فسار إلى بني شيبان مستنجداً بهم، فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أولاً، واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب، فكر عليهم بنو شيبان وظفروا بهم. وكتب هرون بن سيما إلى محمد بن إسحق بن كنداجق يستمده، فسار بنفسه وخشيه أهل الموصل، فسار بعضهم إلى بغداد يطلبون عاملاً يكفيهم أمر ابن كنداجق ومروا في طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فألفوه وقد وصل إليه بولاية العهد بالموصل، فبادر ملكها، وتواتق ابن كنداجق في مكانه، وبعث إلى خماروبه بالهدية، ويسأل إمارة الموصل كما كان من قبل، فلم يجبه إلى ذلك، ثم عزل المجروح وولى بعده علي بن داود الكردي.

الصوائف

الصوائف أيام المعتمد

وصل الخبر في سنة سبع وخمسين بأن ملك الروم بالقسطنطينية ميخائيل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك، ويعرف بالصقلي، فقتله لأربع وعشرين سنة من ملكه، وملك مكانه. وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط، ثم نازلوا مليطة، وقتلهم أهلها فانهزموا، وقتل بطريق من بطارقتهم. وفي سنة ثلاث وستين استولى الروم على قلعة الصقالبة، وكانت ثغراً لطرسوس وتسمى قلعة كركرة فرد المعتمد ولاية ثغر طرسوس لابن طولون، وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفق يريد أن يجعلها ركاباً لجهاده لخبرته بأحوالها. وكان يردد الغزو من طرسوس إلى بلاد الروم قبل ولاية مصر، فلم يجبه الموفق، وولى عليها الموفق محمد بن هرون الثعلبي، واعترضه الشراة أصحاب مساور وهو مسافر في دجلة فقتلوه، فولى مكانه أماجور بن أولغ بن طرخان من الترك، فسار إليها وكان غراً جاهلاً، فأساء السيرة ومنع أقران أهل كركرة ميرتهم، وكتبوا إلى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار، فأخذها أماجور لنفسه، وأبطأ على أهل القلعة شأنها، فنزلوا

عنها وأعطوها الروم، وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثغرهم وعيناً لهم على العدو، وبلغ ذلك المعتمد فكتب لأحمد بن طولون بولايتها وفوض إليهم أمر الثغور، فوليتها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد، وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام جميعها كما ذكرناه من قبل. وفي سنة أربع وستين غزا بالصائفة عَبْدُ اللَّهِ بن رشيد بن كاوس في أربعين ألفاً من أهل الثغور الشامية، فأثخن فيهم وغنم ورجع، فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية، وقرّة كوكب وحرسية وأحاطوا بالمسلمين، فاستمات المسلمون واستلحمهم الروم بالقتل، ونجا فلهم إلى الثغر، وأسر عَبْدُ اللَّهِ بن كاوس وحمل إلى القسطنطينية، وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم إلى أدنة فقتلوا وأسروا والي الثغور أُوخرد فعزل عنها وأقام مرابطاً، وبعث ملك الروم بعبد الله بن كاوس ومن معه من الأسرى إلى أحمد بن طولون، وأهدى إليه عدة مصاحف. وفي سنة ست وستين لقي أسطول المسلمين أسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق من سلم منهم بصقلية، وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة واستنفر الناس ففروا ولم يطبقوا دخول الدرب لشدة البرد فيها. وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشامية في ثلثمائة من أهل طرسوس، واعترضهم أربعة آلاف من الروم من بلاد هرقل فنال المسلمون منهم أعظم النيل. وفي سنة ثمان وستين خرج ملك الروم، وفيها غزا بالصائفة خلص الفرغانيّ عامل ابن طولون على الثغور الشامية فأثخن ورجع. وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة ألف ونزلوا قلمية على ستة أميال من طرسوس فخرج إليهم بازيار فهزمهم وقتل منهم سبعين ألفاً وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة، وغنم منهم سبع صلبان ذهباً وفضة، وكان أعظمها مكللاً بالجواهر. وغنم خمسة عشر ألف دابة، ومن السروج والسيوف مثل ذلك، وأربع كراس من ذهب، ومائتين من فضّة وعشرين علماً من الديباج وأنية كثيرة. وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغل في أرض الروم وقتل وغنم وأسرى وسبى وعاد إلى طرسوس. وفي سنة ثمان وسبعين دخل أحمد الجعفي طرسوس وغزا مع بازيار

بالصائفة ونازلوا إسكندا فأصيب بازبار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات في طريقه ودفن بطرسوس.

الولايات في النواحي

الولايات بالنواحي أيام المعتز

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من أطرافها وأوساطها، واستولى بنو سامان على ما وراء النهر، والصفار على سجستان وكرمان، وملك فارس من يد عمّال الخليفة، وانتزع خراسان من بني طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة. وغلب الحسن بن زيد على طبرستان وجرحان منازعاً بالدعوة ومحارباً بالديلم لابن سامان والصفّار، وعساكر الخليفة بأصبهان، واستولى صاحب الزنج على البصرة والأبلة إلى واسط وكور دجلة منازعاً للدعوة ومشاققاً، وأضرمت تلك النواحي فتنة. ولم يزل الموفق في محاربتة حتى حسم علته وقطع أثره واضطربت بلاد الموصل والجزيرة فتنة بخوارج السراة والقرب من بني شيان وتغلب بالأكراد، واستولى ابن طولون على مصر والشام مقيماً لدعوة الخلافة العباسية، وابن الأغلب بأفريقية كذلك. وأمّا المغرب الأقصى والأندلس فاقتطعا عن المملكة العباسية منذ أزمان كما قلنا، ولم يكن للمعتمد مدة خلافته كلها حكم ولا أمر ونهي إنما كان مغلباً لأخيه الموفق وتحت استبداده، ولم يكن لهما جميعاً كبير ولاية في النواحي باستيلاء من استولى عليها ممن ذكرناه إلا بعض الأجناس، فلنذكر ما وصل إلينا من هذه الولايات أيام المعتمد، فلأول ولايته استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وبعث جعلان لحرب الزنج بالبصرة فكان أمره معهم كما مرّ. ثم ولي عيسى ابن الشيخ من بني شيان على دمشق، فاستأثر بها ومنع الخراج، وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه أنفقه على الجند، فكتب له المعتمد عهده في أرمينية ليقم بها دعوته وقلد أماجور دمشق وأعمالها فسار إليها وأنفذ عيسى ابن الشيخ ابنه منصوراً لقتال أماجور في عشرين ألفاً فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى إلى أرمينية على طريق الساحل ودخل أماجور دمشق. وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مساور الخارجي فلقية (ساحة جائعين) فنال الخوارج منهم. وفيها كان وثوب محمد بن واصل بن

إبراهيم التميمي على الحرث بن سيما عامل فارس، فقتله وغلب عليها كما مرّ. وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبي على الريّ فسار إليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن، وظهر عليّ بن زيد بالكوفة وملكها، وبعث المعتمد لمحاربته كيجور التركيّ فخرج عنها إلى القادسية، ثم إلى ختان، ثم إلى بلاد بني أسد. وغزاه كيجور من الكوفة فأوقع به وعاد إلى الكوفة، ثم إلى سر من رأى. وفي سنة سبع وخمسين عقد المعتمد لأخيه الموفق على الكوفة والحرمين واليمن، ثم على بغداد والسواد إلى البصرة والأهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد الحاجب. وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الخياط ونزل الأهواز. ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لأحمد بن المولّد، فسار إليها وقَاتِل الزنج. وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهلي متغلباً عليها فأخذه ابن المولّد وبعث به إلى سامّرا. وفيها تغلب يعقوب الصقّار على فارس وبعض أعمال خراسان، وولاه المعتمد ما غلب عليها [*] ، وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان، وانتقضت على ابن طاهر أعمال خراسان، وفيها اقتطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التركيّ فولّى عليها أحمد بن طولون، ومات يارجوج لسنة بعدها، فاستبد ابن طولون بها، وكان عبْد العزيز بن أبي دلف على الري، فخرج عليها خوفاً من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان، فبعث الحسن من قرابته القاسم بن علي بن القاسم، فأساء فيها السيرة. وفي سنة ثمان وخمسين قتل منصور بن جعفر الخياط في حرب الزنج وولّى يارجوج على أعمال منصور، فولّى عليها اصطخوّر، وهلك في حرب الزنج، وعقد المعتمد للموفق على ديار مصر وقنسرين والعواصم. وبعثه لحرب الزنج ومعه مفلح، فهلك في تلك الحرب. وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرور البلخي فكانت بينه وبين مساور الشيباني حروب، وكذلك بين الأكراد واليعقوبية وأوقع بهم كما مر، وفيها رجع أحمد بن واصل إلى طاعة السلطان وسلم فارس للحسن بن الفياض. وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك اصطخوّر بالأهواز، فأمر المعتمد موسى بن بغا بالمشير

لحرب الزنج كما مر، وفيها ملك يعقوب الصفار خراسان وقبض على محمد بن طاهر، وكان لمنكجور على الكوفة فصار عنها إلى سامرا بغير إذن وأمر بالرجوع فأبى، وبعث المعتمد عدة من القواد فلقوه بعكبرا فقتلوه وحملوا رأسه. وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس وملكها وكانت وقعة بين محمد بن الفضل بن نيسان وبين دهشودان بن حسان الديلمي فهزمه محمد. وفيها غلب شركب الحمال على مرو ونواحيها. وفي سنة ستين قام يعقوب بن الصفار على الحسن بن زيد فهزمه وملك طبرستان كما مر، وأخرج أهل الموصل عاملهم أتكوتكين بن أساتكين، فبعث عليهم أساتكين إسحاق بن أيوب في عشرين ألفا ومعه حمدان بن حمدون الثعلبي، فامتنع أهل الموصل منهم وولوا عليهم يحيى بن سليمان، فاستولى عليها. وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص فولى بكثر. وولى على أذربيجان الرذيني عمر بن علي لما بلغه أن عاملها العلاء بن أحمد الأزدي فلج، فلما أتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل، واستولى الرذيني على مخلفه قريبا من ألفي ألف وسبعمئة ألف درهم. وفيها سار علي بن زيد القائد بالكوفة إلى صاحب الزنج فقتله. وفي سنة إحدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الأهواز والبصرة والبحرين واليمامة، مضافاً لما بيده. فولاهما عبد الرحمن بن مفلح وبعثه لحرب ابن واصل، فهزمه ابن واصل وأسره كما مر، ورأى موسى بن بغا اضطراب تلك الناحية فاستعفى منها ووليها أبو الساج، وملك الزنج الأهواز من يده، فصرف عن ولايتها، ووليها إبراهيم بن سيما وولي محمد بن أوس البلخي طريق خراسان. ثم جاء الصفار إلى فارس، فغلب عليها ابن واصل كما مر، فجهز المعتمد أخاه الموفق إلى البصرة بعد أن ولّاه المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه. وبعث الموفق ابنه أبا العباس لحرب الزنج فتقدّما بين يديه، وفيها فارق محمد بن زيد ولاية يعقوب الصفار، وسار ابن أبي الساج إلى الأهواز، وطلب أن يوجه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر إلى خراسان، وفيها استبد نصر بن أحمد بن سامان بسمرقند وما وراء النهر، وولى أخاه إسماعيل بخارا وفيها ولى المعتمد على الموصل الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب، وفيها رجع الحسين بن زيد إلى طبرستان وأخرج منها أصحاب الصفار وأحرق سالوس لممالة أهلها الصفار وأقطع ضياعهم للديلم، وفيها نادى المعتمد في حافي خراسان والري وطبرستان وجرجان بالنكير على ما فعله الصفار في خراسان وابن طاهر، وأنه لم يكن عن أمره ولا ولّاه.

وفيهما قتل مساور الشاربي يحيى بن جعفر من ولاة خراسان، فسار مسرور البلخي في طلبه والموفق من ورائه. وفي سنة اثنتين وستين كانت الحرب بين الموفق والصقار، واستولى الزنج على البطيحة ودسميسان وولى على الأهواز كما ذكرنا، وبعث مسرور البلخي أحمد بن ليتونة لحربهم كما مر. وفيها ثار أحمد بن عبد الله الخجستاني في خراسان بدعوة بني طاهر، وغلب عليها الصقار إلى أن قتل كما مر ذكره. وفيها وقعت مغاضبة بين الموفق وابن طولون فبعث إليه الموفق موسى بن بغا فأقام بالرقعة حولاً، وعجز عن الميسير لقلّة الأموال، فرجع إلى العراق. وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطان صاحب مفلح، فقتله الأعراب بالبرية. وفي سنة ثلاث وستين استولى الصقار على الأهواز، ومات مساور الشاربي وهو قاصد لقاء العساكر السلطانية بالتواريخ، فولى الخوارج مكانه هارون بن عبد الله البلخي فاستولى على الموصل. وفيها ظفر أصحاب الصقار بابن واصل. وفيها هزم ابن أوس من طريق خراسان وعاد إلى الموصل. وفيها ظفر أصحاب الصقار بابن واصل وأسروه، ومات عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد فاستوزر مكانه الحسن بن مخلد، وكان موسى بن بغا غائباً في غزو العرب، فلما قدم خافه الحسين وتغيب فاستوزر مكانه سليمان بن وهب. وفيها غلب أخو شركب الحمّال على نيسابور، وخرج عنها الحسين بن طاهر إلى مرو، وبها خوارزم شاه يدعو لأخيه محمد. وفيها ملك الزنج مدينة واسط وقاتله دونها محمد بن المولد، فهزمه ودخلها واستباحها. وفيها قبض المعتمد على وزيره سليمان بن وهب، وولى مكانه الحسن بن مخلد، وجاء الموفق مع عبد الله بن سليمان شفيعاً فلم يشفعه، فتحول إلى الجانب الغربي مغاضباً واختلفت الرسل بينه وبين المعتمد وكان مع الموفق مسرور كيغلغ وأحمد بن موسى بن بغا. ثم أطلق سليمان ودعا إلى الجوسق وهرب محمد بن صالح بن شیرزاده والقواد الذين كانوا يسامروا مع المعتمد خوفاً من الموفق، فوصلوا إلى الموصل. وكتب الموفق لأحمد بن أبي الأصغ في قبض أموالهم. وفيها مات أماجور

عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام وطرسوس، وقتل عاملها سيما. وفي سنة خمس وستين وُلِّيَ مسرور البلخي على الأهواز وهزم الزنج. وفيها مات يعقوب الصقار وقام بأمره أخوه عمر، ولَّاهُ الموفق مكان أخيه خراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد. وفيها وثب القاسم بن مهان بدلف بن عَبْد العزيز بن أَبِي دلف بأصبهان، فقتله، فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم فقتلوه. فولي أصفهان أحمد بن عَبْد العزيز أخو دلف، وفيها لحق محمد بن المولد يعقوب الصقار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد. وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب وابنه عَبْد الله وصادرهما على تسعمائة ألف دينار، وفيها ذهب موسى بن أتمامش وإسحق بن كنداجق والفضل بن موسى بن بغا مغاضبين. وبعث الموفق في أثرهم صاعد بن مخلد فردَّهم من صرصر. وفيها استوزر الموفق أبا الصقر إسماعيل بن بلبل. وفي سنة ست وستين ملك الزنج رامهرمز وغلب أساتكين على الري وأخرج عنها عاملها فطلقت. ثم مضى إلى قزوین وبها أخوه كيغلخ، فصالحه وملكها. وفيها وُلِّيَ عليّ بن الليث على الشرطة ببغداد عبيد الله بن عَبْد الله طاهر، وعلى أصفهان أحمد بن عَبْد العزيز بن أَبِي دلف، وعلى الحرمين وطريق مكة محمد بن أَبِي الساج. وولى الموفق على الجزيرة أحمد بن موسى، بن بغا، فولى من قبله على ديار ربيعة موسى بن أتمامش، فغضب لذلك إسحق بن كنداجق، وفارق عسكر موسى، وسار إلى بلد وأوقع بالأتراك اليعقوبية. ثم لقي ابن مساور الخارجي فقاتله. وسار إلى الموصل وطلب من أهلها المال، وخرج على بن داود لقاتله مع إسحق بن أيوب وحمدان بن حمدون وكانت بينهم حروب، آخرها المعتمد وعقد لإسحق بن كنداجق على الموصل، وقد مر ذلك من قبل. وفيها قتل أهل حمص عاملها عيسى الكرخي وفيها كانت بين لؤلؤ غلام ابن طولون، بين موسى بن أتمامش وقعة برأس عين وأسرهُ لؤلؤ وبعث به إلى الرقة. ثم لقيه أحمد بن موسى فاقتلوا، وغلب أحمد أولاً، ثم كر لؤلؤ فغلبهم وانتهوا إلى قرقيسيا، ثم ساروا إلى بغداد وسامرا. وفيها أوقع أحمد بن عَبْد العزيز بكمتم فانهزم ولحق ببغداد، وأوقع الخجستاني بالحسن بن زيد بجرجان فلحق بآمد، وملك الخجستاني جرجان وأقطعه من طبرستان، واستخلف على سارية الحسن بن محمد بن جعفر بن عَبْد الله العقيقي بن